السَّيفُ المَسْلُول
عَلَى عَابِدِ الرَّسُول

رَدُّ الفَقِيرِ إِلَى اللهِ
عبد الرَّحمن بن مُحَمَّد بن قاسِم
العاصِمِيّ الحنبليّ النَّجدِيّ
١٣١٢ - ١٣٩٢هـ

عَلَى
عَلِي بن محمد الرَّشِيدِي الجزائريّ

السيف المسلول

على عابد الرسول

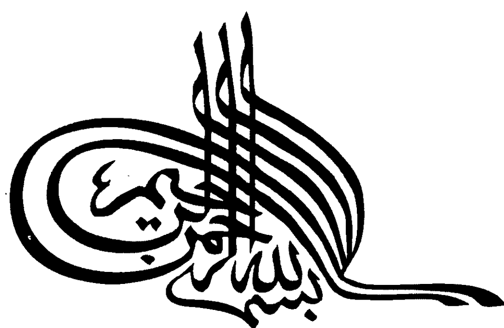
الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

للتواصل: المملكة العربية السعودية ـ الرياض
جوال : ٠٠٩٦٦٥٥٣٥١٥١٧٧



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الدين ، ومبطل زخرف الملحدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده ، لا شريك له ، ولا ندَّ ولا معين ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه والتابعين ، وسلم تسليماً كثيراً ، إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد وقفت على وريقات ، كتبها : علي بن محمد الرشيدي ، الجزائري ، في الرد على ما نشرته ، في جريدة أم القرى ، تحت عنوان : « هل عُبد رسول الله ﷺ» وسيأتي نص ما نشرته ، عند ذكري : زعمه أنه يفهم منه إنكار الشفاعة .

وقد تضمن ردُّه : ردّ ما أنزلت به الكتب ، وأرسلت به الرسل ، وأجمعت عليه الأمة ، من إفراد الله سبحانه ، بالعبادة ، وتجويز عبادة غير الله عز وجل ، بالالتجاء إليه ، والاستغاثة به ، وطلب الشفاعة منه ؛ وأكثر الطعن ، على من دعا الناس إلى توحيد الله ، وكفرهم بمحض التوحيد ، وزعم أنهم خوارج ، وسمى عباد الأنبياء ، والصالحين ، مؤمنين موحدين ؛ وعكس القضية ، وصرف المقالة عن مدلولها ، ونسب إليَّ ما لا يحتمله كلامي فالله المستعان .

وسقت كلامه : ليعلم الواقف عليه ، حاصل ما عند هذا المعترض ، وأنه في ظلمات الجهل ، والهوى ، والشرك ، أجنبي عن هذه الصناعة ، مُزْجَى البضاعة ، ملبوس عليه ، لا يفهم كلام الله ، ولا كلام رسوله ﷺ، ولا كلام أهل العلم ؛ ومجرد حكاية ما احتج به ، يكفي في الرد ، والتسجيل على جهله .

فإن الفطر السليمة : تقضي بفساد زعمه ؛ والكتاب والسنة ، والإجماع : تدل على نقيض قصده ، وعداوته للنصوص ، والفطر ، والعقل ، والنظر ، ولكن لغلبة الجهل ، وكثرة الباطل ، قد يحصل بما موه به تلبيس ، على من لا بصيرة له ، أو يُظنُّ العجزُ عن رد باطله ؛ وإن كنت لست من رجال تلك المناهج ، والمسالك ، ولكن ضرورة الحال ، اقتضت ذلك ؛ وقد ينتفع به من أراد الله هدايته ، واستعماله فيما يرضيه ، من توحيده وطاعته ؛ كما قيل :

أبِنْ وجه نور الحق في صدر سامع ودعه ، فنور الحق يسري ويشرق

وقد سبق هذا المعترض أقوام مشبهون ، ذكروا نحو ما ذكر ، وأكثر ، وأعظم تلبيساً وتمويهاً ، وأجابهم الأئمة الحفاظ ، وأدحضوا شبههم ، وهم القدوة ، وبهم الأسوة ، وحسبنا ما ذكروه ، ووضحوه ، نسأل الله بأسمائه الحسنى : أن يحشرنا في زمرة الذين ينفون عن كتاب الله ، تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

والحمد لله لا نحصي ثناء عليه ؛ خذل هؤلاء الحيارى ، بعدله وحكمته ، وأوضح المحجة ، وأقام الحجة ، وأوجب الشكر ، على أهل فضله ونعمته ؛ لم يردّ كلمة مما كتبتهُ بحق ، ولا تجد في رده كلمة واحدة ، سيقت على القانون الشرعي ، والمنهاج المرضي ، أو تدل على مراده ؛ بل أدلته تؤ يد ما ذكرته ، وترد دعواه ؛ ولكن كما قال شيخ الإسلام في المحصل ، الشبيه برد هذا المعترض :

محصل في أصول الدين حاصله   من بعد تحصيله جهل بلا دين

ولو سكت لكان أستر له ، ولكن كان كعنز السوء ، يبحث عن حتفه بظلفه ؛ شعراً :

فكان كعنز السوء قامت بظلفها   إلى مدية تحت التراب تثيرها

وذكر على طرة كتابه : إنه نصرة للحق ، ودعوة إلى الصدق ؛ وباب الدعوى أوسع مما بين المشرق والمغرب ؛ وقد قال أضل الخلق : فرعون اللعين ﴿ **ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** ﴾ وقال الله عن أهل مسجد الضرار : ﴿ **وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ وعن المنافقين : ﴿ **قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ فكذا هذا المعترض ، يقول : نصرة للحق ، وهو يجهد في رد الحق ، ويدعو إلى ضده ، وينهج منهج ، من انسلخ من العقل ، والدين .

فهلا عكست الأمر إن كنت حازماً   ولكن أضعت الحزم لو كنت تعقل

هلا كان نصرتك للحق، ودعوتك في رد العظائم، في جهتكم وغيرها، المضادة لأصل الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، من الشرك بالله ؛ وأعظمها عبادة الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وأشهرها عبادة القبور ، التي طبقت العالم ، إلا من شاء الله .

ولقد اتخذوها في هذه الأزمان ، معابد ، وزخرفوها بالأبنية الضخمة ، وموهوها بالذهب ، والفضة ، وكسوها بأنواع الحرير ، وازدحموا عندها يعكفون ، ويطوفون ، ويتمسحون ، ويذبحون لها ، وينذرون ، ويخضعون لها ، ويذلون ، ويخشعون ؛ بل يحصل لهم، من الرقة ، والخشية ، والدعاء ، والمناجاة ، ما لا يحصل لهم ، إن قصدوا المسجد للصلاة ، بل لا تكاد ترى عليهم، من الخشوع، والابتهال، في الصلاة، معشاره عند القبور.

ويعتقدون : أن الصلاة عندها ، وفيها ، وإليها ، أفضل من الصلاة في بيوت الله عز وجل ؛ ويقصدونها من الأماكن البعيدة ، وربما تكون بحذائهم ، مساجد مهجورة معطلة ، وإذا أدركوا الصلاة في تلك المساجد ، كان عندهم أفضل ؛ وهي ليست مقصودة ، لكونها بيوتاً لله ، بل لكونها مقامات ، ومشاهد ، لمن نسبت إليه ، من أهل تلك القبور ؛ يدل على ذلك : أنهم لا يسمونها إلا مقامات ، وحضرات ، ومشاهد ، وليس مقصودهم ، إلا التقرب بالميت ، وبحضرته .

وكثير ممن زين لهم الشيطان أعمالهم ، يصلون إلى الميت ، ويدعو أحدهم الميت ، فيقول اغفر لي ، وارحمني ، ونحو ذلك، ويسجد له ؛ ومنهم من يستقبل قبره ، ويصلي إليه مستدبر الكعبة ؛ ويقول : القبر قبلة الخاصة ؛ والكعبة قبلة العامة .

قال بعض أهل التحقيق : وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً ، يحبون آلهتم ، أكبر من حب الله ؛ يغضب أحدهم لهم ، ولحرماتهم ، أعظم مما يغضب لله ، ويستبشر بذكرهم ، ويسر به ، ويحن قلبه ، ويهيج من لواعج التعظيم ، والخضوع لهم ؛ وإذا ذكر الله وحده ، لحقتهم وحشة ، وضيق وحرج ؛ بل تراهم يقفون عندها ، أخشع من موقفهم في عرفات ، ويفضلونها ، والحج إليها ، على حج بيت الله الحرام ، والسفر إليها على السفر للحج ، وغير ذلك مما هو معلوم ، عند جميع أهل العلم بدين الإسلام ، أنه مناف لشريعة الإسلام .

وطائفة من علمائهم : صنفوا كتباً ؛ وسموها : مناسك حج المشاهد ؛ وأما الكتب المصنفة باسم الزيارة ، والمولد ، والتحريض على التوسل بالأموات ، ودعائهم ، وإهداء النذور لهم ، والصدقات ، فأكثر من أن تحصر ؛ فأين نصرتك للحق ، والحالة هذه ؟! بل تخطيت بالرد على من نهى عن ذلك .

ولو صدقت في دعواك نصرة الحق ، لاندرجت في سلك جمعية المسلمين ، في جهتك ، الجزائر ، الذين هم من أكبر

حجج الله عليك ، وكذلك غيرهم في سائر الأقطار ، من أنصار السنة والدين ، من قامت بهم حجة الله على عباده ، يصرخون على المنابر ، وينشرون الكتب ، وفي المجلات و الجرائد : الدعوة إلى عبادة الله وحده ، والنهي عن عبادة ما سواه ؛ ويصرحون : بأن السؤال الواقع من الجاهلين والحمقى ، للموتى ، من الأنبياء ، والصالحين ، بدع وزور ، وضلال من اللعين ، وغرور .

وأنه إنما سرى إلى بعض المسلمين ؛ من أهل الكتاب ، كما سرى إليهم من الوثنيين ، وشهدوا بفظاعة ما شاهدوه بالجزائر ، ومصر والشام ، والعراق ، وغيرها من عرائض الأحوال ، والشكاوي والتضرعات ، وإبداء الرغبات ، وطلب كشف الكربات ، والتخشع والانكسار عند تلك المشاهد ، والحضرات ؛ كأن الله فوض إليهم تدبير الأمور ، حتى إن الطلبة يرفعون أيديهم ، مستقبلين القبر ، يقولون : الأيام أيام امتحان ؛ كأن الله فوض إلى المقبور النجاح ؛ فأين أنت ؟! .

ولكن أظنك ممن قال فيهم ، محمد المعصومي : شاهدت في بخارى ، عند ضريح النقشبندي ، من حملة العمائم ، مشائخ جالسين حوله ، ويدعون أنهم ممن ينتسب إلى الشيخ ، وأنهم أصحاب الدعاء ، والناس حوله ، يقصدون زيارة هذا الضريح ، من بلاد بعيدة ، فيحملون له نذوراً ، من الأموال ، والنقود ،

ويقدمون إلى المشائح، والسدنة المذكورين، وهم يـأمرونهم بالطواف حوله، والتوجه إليه، وطلب الحاجات منه؛ وإذا نهيتهم، ينسبونك إلى الزندقة؛ وها أنت شننت الغارة، على أنصار دين الإسلام، الذين أزال الله بدعوتهم، ما كان في بلاد نجد، والحرمين الشريفين، وغيرهما من تلك المشاهد، وبسيوف حماة الدين، آل سعود، وسببتهم، وكفرتهم، وتزعم أنك تدعو إلى الحق؛ والإتيان بالمنافي: أعدل شاهد على كذب ذلك القول.

ولو فرض أنـك قصدت النصيحـة ، فلجهلك بدين الله وشرعه ، وما جاءت به رسله ، وكون قلبك في غلاف ، أو مصفح ، لا تعرف الحق ، ولا تدريه .

وقد كان كثير من اليهود والنصارى يعيبون على من يدعي الإسلام ما يفعل عند تلك المشاهد ، ويقولون : إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن كان نهاكم عنه فقد عصيتموه ؛ والعامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى ، والمشركون ، يعلمون أن محمداً ﷺ إنما بعث بالأمر بعبادة الله وحده ، والنهي عن عبادة ما سواه ، وتكفيره .

وأنت لا تعذر بالجهل بذلك ، فإن وجوب معرفته ، من ضروريات الإسلام ، ولا يعذر فيه المخطىء ، وإنما يعذر في المسائل الاجتهادية ، التي قد يقع النزاع فيها بين الفقهاء أو ما يخفى دليلها ؛ وأما ما يعلم من الإسلام بالضرورة ، فلا عذر فيه .

وحكم النبي ﷺ على المعينين ، من المشركين ، من جاهلية العرب ، الأميين ، بالنار ، وهم أهل فترة ، فكيف بمن نشأ ، وهو يسمع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، في إيجاب التوحيد ، والأمر به ، وتحريم الشرك ، والنهي عنه ، وتكفير من فعله ؛ فكيف بمن يقرؤه؛ فكيف بمن يستدل به ، لا سيما إن عاند في إباحة الشرك ، ودعا إلى عبادة الأنبياء ، والأولياء ، وغيرهم ، وزعم : أن أهلها مؤمنون ، موحدون ؛ وأن الكتاب ، والسنة : تدل على ذلك ؛ فكيف إذا رد الأدلة الدالة ، على كفر من جعل مع الله إلهاً آخر ، ومع هذا كله ، يزعم أنه نصرة للحق ؛ ولكن الله تعالى يقول : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ قال بعض السلف : حتى يتركه لا يعقل .

قال الجزائري :

أما [بعد] فقد كنا ، ولا زلنا ننتظر ، بفارغ الصبر ، مجيء جريدة أم القرى الغراء ، للاطلاع على ما تتوق إليه النفس ، وينشرح له الصدر ، من أخبار العالم الإسلامي ، لأنها الجريدة الوحيدة ، التي تصدر من مهبط الوحي ، ومبعث الرسالة ، وكعبة الآمال ـ مكة المكرمة ـ زادها الله شرفاً ؛ وكنا نود : أن تقوم هذه الجريدة ، ببعض ما يجب عليها ، من دعوة الأمة الإسلامية ، إلى الاتحاد ، والتعاضد ، وجمع الكلمة ، وأن لا تكون واسطة تفرقة ، وتشتت .

والجواب :

إن هذا المعترض ، في معزل من الدين ، لا يعرف ما جاءت به الرسل ، من الأمر بعبادة الله وحده ، التي هي أكبر أسباب الاتحاد ، ولا ما وقع في هذه الأمة ، من الشرك ، والبدع ، والمنكرات ، الموجب للتفرق ، وإلا لم يتفوه بهذه الشبهة ، نعوذ بالله من غرور الشيطان ، والانحراف عن سبيل أهل الإيمان .

وَيْحَهُ ! ما أفوه أن يقال : لا يعبد إلا الله وحده ؟ وقد اتفقت عليه النبوات ، عجباً منه ! اشمأزّ لما نشر في جريدة إسلامية : النهي عن أن يجعل ، مع الله إله آخر ، وهي تصدر من البلد الأمين ، بلد من هبط الوحي على قلبه ، ليكون من المنذرين ، تحت زعامة حماة التوحيد ، وأنصاره ومجدديه ، ويود أن لا تنشر فيها الدعوة ، إلى ما دعت إليه الرسل ، أن : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ وأن لا يحكم بالكفر ، على من عبد مع الله سواه ، بعد قيام الحجة عليه ، فتكون واسطة ، تفرقة ، وتشتت ! .

لا جرم : إنه أجنبي من الدين ، لا يدري ما هو :

كالثور في الدولاب يسعى وهو لا يدري الطريق فلا يزال مكانه

ألا : قاتل الله الأفكار الضيقة ، والعقول القاصرة ، المظلمة ؛ يستنكف ويستكبر لما سمع الدعوة إلى الله وحده ، قال تعالى : ﴿ **ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير** ﴾ .

ولو سلم من هذه الحماقة ، وصدق في دعواه ، الدعوة إلى الحق : لأنكر البدع الظاهرة ، الموجبة للفرقة ، وأعظمها الشرك في عبادة الله ، ولوجد من أعداء الله ، ورسوله ، المفرقين لدينهم ، من يرد عليهم ، ويجد في عيبهم وثلبهم ، وما ذاك إلا لغيظ ، وضيق في صدره ، واستكبار عما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق ، الذي به جمع الكلمة ، والتعاضد والتناصر ؛ أو الجهل بذلك قال الله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات** ﴾ الآيات .

ألم يتصور ما حصل في صدر الإسلام ، من الظهور والاتساع ، في عصر الخلفاء ، ممن اجتمع من المسلمين ، على حرب فارس والروم ، ثم لما أظهرهم الله عليهم ، ملؤوا الشام ، والعراق ، والمشرق ، والمغرب ، إلى أن ترك من ترك منهم العمل ، بطاعة الله ورسوله ، وظهرت البدع ، وعبادة غير الله ، وغير دينه ، فوقع التفرق .

وقال تعالى عن النصارى : ﴿ **فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** ﴾ والاعتصام ـ ولا شك ـ بحبل الله ، ومجانبة التفرق : من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت وصية الله به في كتابه ، ومما عظم ذمه لمن تركه ، من أهل الكتاب ، وغيرهم . ومما عظمت به وصية رسول الله ﷺ في مواطن عامة وخاصة .

ولو استقمنا جميعاً على الإسلام ، والعمل بطاعة الله : لأصبحت الأرض دولة إسلامية ، حكومة واحدة ، مؤتزرة ، متفقة ، كصدر الإسلام ، ولكن كيف يكون ذلك ، وقد نصب هذا المعترض نفسه ، وأضرابه ، لتعدد المعبودات .

ومن المعلوم بالضرورة : أنه ليس يحصل الاتفاق ، والائتلاف ، على شتى المعبودات ، بل على عبادة الله وحده ، لا شريك له ، والبراءة من كل معبود سواه ؛ قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** ﴾ .

بل : وأكبر أسباب التفرق ، التفرق في المعبودات ، والآلهة ؛ فلا يتفق من يعبد الله وحده ، ومن يعبد النبي ﷺ وعيسى ، وأمَّه ، والعزير ، والملائكة ، وعبد القادر ، وأحمد البدوي ، والرفاعي ، والدسوقي ، وفلاناً وفلاناً ، ويكونون يداً واحدة ؛ حاشا وكلّا ، قال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

وأين هذا المعترض عن جمعية الإسلام ، أهل وطنه ، الذين أنكروا الشرك ، وقالوا : إنه أمُّ المساويء ، وكلية الرذائل ، ومعمل الموبقات ، وسبب انحطاط الأمم ، وفساد الأخلاق ، وأن التوحيد أحفظ للحياة ، وأضمن للسيادة ، وأقوى على حمل منار المدنية الطاهرة .

وأن من انتسب إلى الإسلام ، وافتخر بالعربية ، ثم رضي بالحالة الحاضرة ، ودافع عنها ، فَبُنُوَّتُه للإسلام ولغتِه ، ليست لرشدَةٍ ، وإنما هي لغيَّةٍ ، وأن الابن الشرعي للإسلام والعروبة ، هو : من يجعل همه إعادة جدة الدين ، واستعادة مجد السلف الأقدمين ؛ وأن ابن الإنسانية البار بها ، هو الذي إن لم يؤزر على تحقيق ذلك المهم ، لا يمنع العاملين لتمثيله ، ولا يحول بينهم وبين طرق تحصيله .

وإنك لا تجد ، كالدين الخالص ، مصنعاً للعقول ، التي تسع الإنسانية عدلاً ، وللقلوب التي تسع الشعوب إخاء ، وللألسنة التي تسع الحياة صدقاً ، ولكن هذا المعترض ، لا يعرف الإصلاح ، ولا جمع الكلمة من أسباب التفرق ، ولا أنصار التوحيد من أعدائه .

والحمد لله الذي جعل في كل قرن ، وجيل طائفة من المسلمين ، قائمة بالدين ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، إلى أن تقوم الساعة ؛ وفي الحديث « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » .

قال الجزائري :

ومما يؤلمنا ويؤلم كل من تجري في عروقه دم العروبة ، أن نرى الأمم العربية ، تجمع شتاتها ، وتلم شعثها ، وتوحد كلمتها ، فتتفق وتأتلف ، وتتحد وتتعاضد ، وبينما نرى الدعوة إلى الوحدة العربية ، على قدم وساق ، إذ بالشيخ النجدي ، سامحه الله ، أراد أن يجرب قلمه، فضاقت عليه البحوث الدينية، والعلمية والأدبية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وانسدت أمامه أبوابها ، فلم ير أجدى للأمة الإسلامية ، وأنفع لها في حالها الحاضر ، من الحكم عليها بالكفر ، وإخراجها عن دينها ، الذي هو أعز شيء لديها ، ولا دليل له على ما جاء به ، ولا برهان ، اللهم إلا ما ذكره مما جاء دليلاً ، على شدة تعلق المسلمين بالرسول ﷺ وحبهم له .

والجواب ، أن نقول :

هذه الكلمة العوراء ، لا تصدر إلا من غبي جاهل ، تمادى في الوقاحة ، والسفاهة ، وكابر في الحسيات ، وباهت في الضروريات ، تدل عبارته على رسوبه في الجهل ، وتهوره في الكذب ؛ قاتله الله ما أجرأه على هذه المجازفة ! لما ضاقت عليه الدعوة الاسلامية ، جرب قلمه في الدعوة إلى الشرك ، وعبادة غير الله ، والصد عن سبيله ، وعزل الكتاب والسنة ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، حتى لما كتبتُ في التحذير من اتخاذ

رسـول الله ﷺ إلهاً مـع الله ، زعم أني لم أر أجدى لـلأمة الإسلامية ، وأنفع لها في حالها الحاضر ، من الحكم عليها بالكفر ، وإخراجها عن دينها ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

أبرأ إلى الله من زعمه الكاذب ، وأُشهد الله وملائكته ، وجميع خلقه ، على إسلام من وحد الله ، وتبرأ من الشرك وأهله ؛ وحاشا لله أن أكفر الأمة المحمدية ، المستجيبة لله ولرسوله ﷺ بل هم إخواننا ، ولم ندع إلا إلى طريقتهم ، ولم ننتحل سوى نحلتهم ؛ ونقول : ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ .

وستمر بك المقالة ، التي نشرتها ، في جريدة أم القرى ، عند زعمه : أني أنكر الشفاعة ، لتعلم أني لم أحكم على مسلم بكفر ، وإنما كتبتها لبحث جرى ، فيمن يدعو رسول الله ﷺ ويلجأ إليه ، ويطريه ، ويسأله الشفاعة ، ولكثرة الوقوع في ذلك : بينته لمن أراد الله هدايته .

ومن المعلوم بالضرورة : أن التكفير حق لله ، وهو الذي ذكر الكفار وأعمالهم ، والمشركين وشركهم ، ورد عليهم في كتابه ، وأباح دماءهم وأموالهم ، وسبي ذراريهم ، ونسائهم ، وأعد لهم نار جهنم .

والرسول ﷺ قاتل ، وقتل من كفر بالله ، فقتل كعب بن الأشرف ، وبني قريظة ، وغيرهم ؛ وبعث السرايا لقتال من كفر

بالله ، وقال : « اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله » وهم من أمته ﷺ أعني : أمة الدعوة ، لا أمة الإجابة ، وإذا حكينا ذلك ، لم نكن قد كفرنا الأمة الإسلامية .

ولا يخلو هذا المعترض : إما أن يقول : إن الذين سماهم الله ، كفاراً ، ومشركين ، ومنافقين ، وأمر نبيه ﷺ بقتالهم ، ليسوا من أمة محمد ﷺ أمة الدعوة ، وهذا لا يقوله إلا جاهل ، أو مكابر معاند ؛ أو يقول : إن الكفار ، والمنافقين من الأمة الإسلامية ، المستجيبة لله ورسوله ، فهذا من أبين الباطل ، وأعظم الضلال ، وأظهر شيء مخالفة للكتاب والسنة ، وما عليه السلف ، والأئمة ؛ أو يقول: إن الرسول ﷺ إنما بعث لأهل عصره خاصة ، فلا تناول رسالته من بعدهم ، فينسلخ من الدين ، ويطيع إبليس اللعين ، وينسى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ .

ونحن بحمد الله : لا نكفر إلا من نطق بتكفيره ، الكتاب ، والسنة ، وأجمعت عليه الأمة ، وقامت عليه الحجة ، كمن بدل دينه ، وفعل فعل الجاهلية ، الذين يعبدون ، الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، وغيرهم ، ويدعونهم مع الله ، فإن الله كفرهم بعبادتهم غيره ، سواء كان ذلك المعبود من دون الله ، ملكاً ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو صنماً ، ولم يفرق بينهم في الكفر ، كما هو صريح ، الكتاب والسنة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر

بعد إذ أنتم مسلمون ﴾، ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾، ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ﴾ الآية ، وقال : **﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾**.

وحديث : اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط ؛ فقال ﷺ: « الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً ، كما لهم آلهة » وغير ذلك من الآيات ، والأحاديث الصريحة ، في كفر من عبد مع الله إلهاً آخر .

فإذا كفرنا من كفره الله ورسوله ، ممن عبد مع الله غيره ، أو دعا إلى عبادة غيره ، لم نكن قد كفرنا الأمة الإسلامية ؛ فإن الكافر ضد المسلم ؛ ومن عبد مع الله إلهاً غيره ، لا يسمى مسلماً ، ولا يدخل في مسمى المسلمين ؛ ولكن هذا المعترض ، لا يعرف حقيقة الإسلام ، ولا المسلمين من المشركين ، ولا مقام الدعوة إلى التوحيد ، بل مجرد الانتساب إلى الإسلام ، مع دعاء غير الله ، والشرك الصريح ، بالأنبياء ، والصالحين ، والبله والمجانين ، والأشجار والشياطين ، عنده كافٍ في الإسلام ، وهو الدين عنده ، بل الأمة الإسلامية عنده ، هم الذين يدعون

الأنبياء ، والصالحين ، ويستغيثون بهم في الشدائد ، والملمات ، ويلجأون إليهم ، في كشف الكربات ، وإغاثة اللهفات ، ويتقربون إليهم ، بأنواع القربات ، من الذبح ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والتعظيم ، والخضوع ، وغير ذلك ، مما هو دين المشركين ، عباد الأوثان .

ومن كفر أولئك ، بنص الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، فهو عنده ، قد كفر الأمة الإسلامية ! وفرق شملهم ، وشتت أمرهم ! ولو كان أولئك ، هم الكافرون حقاً ، نقلاً وعقلاً ، هذا : وقد استجاز تكفيرنا، لو همه أنا ننكر الشفاعة ، واستنكر حكم الله ، ورسوله ، بكفر من جعل مع الله إلهاً آخر ! وسبحان الله ! هل يتصور هذا عاقل ؟ يعرف ما جاء به الرسول ﷺ من دين الإسلام .

ولو كان هذا المعترض ، يعرف ذلك ، لما تجازف هذه المجازفة ، ومخرق هذه المخرقة ؛ بل : وها هو يحض ، على ترك الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، وتلك والله مصادمة جلية ، لكتاب الله ، ومحادة لله ، ومخالفة لأمره ؛ وقد ﴿ **أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾، ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى** ﴾ الآية .

يا للعجب العجاب ! يأخذ الله العهد والميثاق ، وينذر الذين يكتمون : ما أنزل من البينات والهدى ، ويتوعد على ذلك ؛ ومعظم ذلك ، بل ، وأخص خصائص الدين : عبادة الله وحده ،

والبراءة من الشرك وأهله ؛ وهو ينهى عنه ! ويتألم منه ! وينادي بكتمان ما أنزل الله في ذلك ؛ ومن أمر بكتمان ما أمر الله به ، ورسوله ، من التوحيد ، ففيه ما تقدم ؛ وقوله : ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم** ﴾ ونحوها .

وكذلك النهي عن كلام الله ، وكلام رسوله ، أن يكتب به ، ويبلغ لعموم الأمة ، من أعظم تحريف كلام الله ، وتبديل دينه ؛ ولم يكف هذا المعترض ذلك ، بل شنع على من دعا ، إلى ما دعت إليه الرسل ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ تالله ، ما ذهب إلى هذا ، من يؤمن بالله ، واليوم الآخر .

ولقد سلك طريقة أسلافه ، الذين قالوا لرسول الله ﷺ سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ؛ وأكثروا عليه ﷺ حتى قال : « أريد كلمة واحدة تدين لكم بها العرب ، وتؤدي إليكم بها العجم الجزية » ففزعوا لكلمته ، ولقوله ، فقال القوم : كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشراً ؛ وما هي ؟ قال : « لا إله إلا الله » .

فقاموا فزعين ينفضون التراب عنهم ، ويقولون : ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق** ﴾ لما عرفوا أنها تبطل عبادة كل معبود ، سوى الله ، وتنفي ما كان بينهم ، من سائر المعبودات ، غير الله عز وجل .

وكذا هذا المعترض ، يقول : من قال ، لا يعبد إلا الله وحده ، لا يشرك به غيره ، فقد كفر المسلمين ، سبحان الله ! ما أكبر هذه الطامة ! وجميع الرسل : إنما يدعون إلى عبادة الله وحده ، وينهون أن يعبد مع الله غيره؛ وكذلك أهل العلم بالله ، من أهل الإسلام كافة ؛ فخرج عن إجماع المسلمين ، بحكمه ، بإسلام هؤلاء المشركين ! وخطأ أهل الإسلام ، بل جميع الرسل ؛ وكذب بما أنزل الله في ذلك .

وكتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها : مشهور في ذلك ؛ وكلام الصحابة ، ومن بعدهم ، من أهل العلم بالفتوى : معروف ، مشهور ، مقرر في محاله ، من كتب التفسير ، والحديث ، والفقه ، في الدعوة إلى عبادة الله وحده ، والنهي عن أن يشرك مع الله غيره ، أو يعدل به سواه ، أو يتخذ واسطة من الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ، بين الله وبين عباده في العبادة ، وفي كفر من فعل ذلك .

وكذلك يذكر أهل العلم ، في كل كتاب من كتب الفقه : باب حكم المرتد ؛ وعرفوا المرتد ، بأنه : الذي يكفر بعد إسلامه ؛ وذكروا أشياء من المكفرات ، دون ما نحن فيه ، مما هو أصل الشرك ، حكموا فيه ، بكفر فاعلها ، وإن صلى وصام ، وزعم أنه مسلم ، ولم يرد في واحدة منها ، ما ورد فيمن دعا مع الله إلهاً آخر.

بل لا نعلم نوعاً ، من أنواع الكفر ، والردة ، ورد فيه من النصوص، مثل ما ورد في دعاء غير الله، من النهي، والتحذير عن فعله ، وكفر فاعله ، والوعيد عليه بالخلود في النار ؛ فما المانع ، من تحكيم الكتاب ، والسنة ، واتباع إجماع الأمة ؟ وقد أفردت هذه المسألة بالتصنيف ، وحكى الإجماع عليها غير واحد من أهل العلم ، وذكروا : أنها من ضروريات الإسلام .

ولم يزل أهل التوحيد : يكفرون طوائف المشركين ، فإن الأحداث لا تزال موجودة في الأمة ، تقل وتكثر، من عهد الصحابة ، إلى أن تقوم الساعة ؛ فقد كفر الصحابة رضي الله عنهم ، من كفروه ، من أهل الردة ، على اختلافهم ؛ وكفر عليٌّ الغاليةَ ؛ وكفر من بعدهم من العلماء : القدرية ، وغيرهم .

وهكذا في كل قرن ، وجيل ، وعصر ، من أهل العلم ، والفقه ، والحديث ، طائفة قائمة بشرع الله ، تكفر من كفره الله ، ورسوله ، وقام الدليل على كفره، لا يتحاشون عن ذلك ، بل يرونه من واجبات الدين ، وقواعد الإسلام ، وبعض أهل العلم : يرى أنه والجهاد عليه ، ركن ، لا يتم الإسلام بدونه ، فكيف بمن عدّ الحكم بكفر ، من جعل مع الله إلهاً آخر ، باباً ضيقاً ! وسفه رأي الأئمة ! وعلماء الأمة ، واستجهلهم ! وعكس القضية ! وراغم الأدلة الشرعية ، والقوانين المحمدية ! وسلك مسلك من لم يؤمن بالله ورسوله ! .

فهذا ، هو والله الحرج ، والضيق ، مسلك من أراد الله أن يضله ، ويخسف قلبه ، ويخزيه بين عباده ؛ ومع هذا كله : يحث على البحوث ، الدينية ، والعلمية ، والأدبيـة ، والأخلاقيـة ، والسياسية ، وهو لا يعرف أصل الأصول ، الذي لا يستقيم لأحد دينٌ بدونه ، بل سعى في هدمه ، والصد عنه ، ليعود بالناس ، إلى الجاهلية الأولى .

وقوله :

ولا دليل له على ما جاء به ، ولا برهان : يشعر ببراءته من الآيات ، والأحاديث الواردة في الأمر بعبادة الله وحده ، وكفر من عبد معه غيره ، والتكذيب بها ، ونفي الحكم عن أولئك ؛ ومن أنكر ما تضمنته من وجوب عبادة الله وحده ، وكُفْرِ من جعل مع الله إلهاً آخر ، فقد كفر ؛ بل من قال في القرآن دون هذا ، مما يشعر برده ، ونقضه ، فهو مجمع على كفره ، وردته .

وهل وراء كتاب الله حجة تلتمس ؛ أو بينة تراد ؟ أو برهان يورد ؟. وهل فيما جاء به رسول الله ﷺ ريبة لمرتاب ؟! وكيف يمكن أحداً ، أن يجحد ما وقع في هذه الأمة ، من الكفر ، والشرك ؟! وقد ذكره الله في كتابه ، كما في أول سورة البقرة ، ذكر الكفار ، والمنافقين ، وأكثر السور ، يذكر فيها الكفار ، والمشركين ، بصفاتهم ، ويأمر بقتالهم ، وكذلك المنافقون ، أمر بجهادهم ، مما هو معلوم ، لا يحتاج إلى نقله في هذه الورقات ؛ وكذلك في السنة ، وكتب أهل العلم .

ولا يخفى ذلك إلا على من قلبه منكوس ، أو في بادية بعيدة ، لم يسمع من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ كلمة واحدة ، بل لا ينكر هذا ، إلا من لا يعرف الإسلام من الكفر .

وهذا المعترض : إما أن يكون في غاية الجهل، وكراهة الحق ، والإعراض عن القرآن بالكلية ، وهدي النبي ﷺ وما جاء به ، وما عليه المسلمون ؛ وإما أن يكون معانداً ، مشاقاً ، لما أنزل الله في كتابه ، وأرسل به رسوله ﷺ، إلا أن يقول : إن الكفار والمشركين ، و المنافقين من الأمة الإسلامية ، ومن خير أمة أخرجت للناس ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

وقوله :

اللهم إلاّ ما ذكره، مما جاء دليلاً، على شدة تعلق المسلمين برسول الله ﷺ وحبهم له .

فنقول :

لا ريب أن الله أوجب علينا الإيمان به ﷺ ومحبته، وتعظيمه، وتوقيره ، وتعزيره ، وامتثال أمره ، والانتهاء عما نهى عنه ، ولزوم متابعته ، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق ، والأخذ بهديه وسنته ؛ وهذا هو مقتضى شهادة ، أنه رسول الله ، فصلوات الله وسلامه عليه ، كما نصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأدى الأمانة ،

وبلغ الرسالة ، وجاهد في الله حق جهاده .

وأما التعلق : فيكون بالقلب ، ويكون بالفعل ، ويكـون بهما ؛ وفي الحديث « من تعلق شيئاً وكل إليه » فمن تعلق شيئاً دون الله عز وجل ، وكله الله إلى ذلك الشيء ، الذي تعلقه ؛ فمن تعلق بالله ، وأنزل حوائجه به ، والتجأ إليه ، وفوض أمره إليه كفاه ؛ ومن تعلق بغيره ، من نبي ، أو ولي ، أو حجر ، أو غير ذلك ، وسكن إليه ، وكله الله إلى ذلك الذي تعلقه ، وخذله ؛ وهذا معروف بالضرورة من النصوص ، والتجارب ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ .

وأخرج أحمد بن حنبل ، وغيره ، عن وهب ، أوحى الله إلى داود : « أما وعزتي وعظمتي ، لا يعتصم بي عبد من عبادي ، دون خلقي ، أعرف ذلك من نيته ، فتكيده السموات السبع ، ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له من بينهن مخرجاً ؛ أما وعزتي وعظمتي ، لا يعتصم عبد من عبادي ، بمخلوق دوني ، أعرف ذلك من نيته ، إلا قطعت أسباب السماء من يديه ، وأسخت الأرض من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك » وشواهده في الكتاب ، والسنة .

وإن أراد هذا المعترض ، بشدة التعلق ، والحب للرسول ﷺ رجاءه ، وخوفه ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وهو غاية ما يراه من رده هـذا ، حتى أنه يقضي حـوائج السـائلين ، ويفرج عن

المكروبين ، ويعطي ويمنع ، ويملك لمن استغاث به من دون الله ، الضر ، والنفع ، ويشفع فيمن يشاء ، ويدخل الجنة من يشاء ، فدعواه شدة تعلق المسلمين به ، وحبهم له ، مبالغة في الشرك ، وانسلاخ من جملة الدين ، واتخاذ ندّ لرب العالمين .

وقال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ فإن حقيقة التوحيد : هو انجذاب الروح إلى الله جملة ؛ وأجمعت الأمة إجماعاً : يعرف بالضرورة ، من دين الإسلام ، وبتصور ما جاءت به الرسل ، واتفقت عليه دعوتهم ، على وجوب عبادة الله وحده ، ونفي عبادة ما سواه ، والبراءة منه .

وقد قطع ﷺ الوسيلة ، والذريعة ، المفضية ، إلى مجاوزة الحد ، بالغلو ، والإطراء ، في مدحه ﷺ والثناء عليه ، فضلاً عن عبادته مع الله ، مما هو صنيع هذا المعترض ، وأضرابه ، الذين تركوا تعظيمه الواجب ، فعظموه بعبادته مع الله ، والاستغاثة به ، والنذر له ، والذبح له ، وغير ذلك ، مما ليس من التعظيم في الحقيقة في شيء ، بل هو من صرف خالص حق الله ، لغيره ، مضارعة للنصارى في الغلو ، ويزعمون أنهم قد بالغوا في تعظيمه ﷺ .

وحاشا ، وكلا ، بل : هو عين ما نهى عنه ﷺ ، ومما يسخطه ؛ فقد قال لهم ، لما قالوا أنت سيدنا ، قال : « السيد

الله » وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبد فقولوا ، عبد الله ورسوله » خشية أن يستجريهم الشيطان، في المبالغة في المدح ، والثناء ، فيخرج بهم إلى حد الإطراء ، فوقعوا في عين ما نهوا عنه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴾ وفي الصحيحين أنه قال : « لا أغني عنكم من الله شيئاً » حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغني عنك من الله شيئاً ».

فإذا صرح : أنه لا يغني عن ابنته ؛ وقال : إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل ، وهو حي حاضر ، فكيف بعد موته ﷺ ؛ وكان يوم بدر ، يناشد ربه ، ويسأله النصر ، على المشركين ، واشتهر ما جرى له ، ولأصحابه بأحد ، والخندق ، ولما دعا على قادة قريش ، أنزل الله عليه : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ فإذا كان لا يغني من الله شيئاً ، ولا ينصره على عدوه ، إلا الله عزّ وجلّ، وكان يستمد النفع، والنصر من الله، كيف يعتقد فيه ﷺ بعد موته، أنه يملك نفعاً، أو يدفع ضراً، وهو عبد مربوب، وكيف يعتقد فيه ذلك، وهو لو كان في حال حياته، واجتماع حواسه، لا يسمع من دعاه على بعد، ولو مسيرة فرسخ، فكيف يسأل، وقد فارقت روحه جسده، وكان في الرفيق الأعلى.

وأصل ذلك : أن هذا المعترض ، لا يعرف حق الله ، ولا حق رسوله ، ولا تمييز عنده في ذلك ، حتى صار يرى استحقاق

رسول الله ﷺ كثيراً من العبادات ، المختصة بالله عز وجل ، فسوى المخلوق بالخالق ، والعبد المربوب ، برب العزة والجلال ، وكيف يسوى الفقير بالذات ، العاجز بالذات ، المحتاج بالذات ، الذي ليس له من ذاته ، إلا العدم ، بالغني بالذات ، القادر بالذات ، الذي غناه وقدرته ، وملكه ، وجوده ، وإحسانه ، وعظمته ، ورحمته ، وكماله المطلق التام ، من لوازم ذاته ، أيّ ظلم أقبح من هذا ؟! وأيّ حكم أشد جوراً منه ! حيث عدل من لاعدل له ، بخلقه ﴿ **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ .

وما ذكرتُه ، من كلام أهل الغلو ، والإطراء ، هو : صرف مخ العبادة ، وخالصها ، لرسول الله ﷺ لا يمتري في ذلك عاقل ؛ وهو الذي أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب بالنهي عنه ؛ ومع ذلك صرح هذا المعترض ؛ أنه لا دليل فيما جئنا به ، ولا برهان ، ردّاً لكتاب الله ، وتكذيباً لسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة ، ومناضلةً عمن دعا مع الله غيره .

فسبحان من اقتضت حكمته : وجود ورثة ، وأتباع لأعدائه ، وأعداء رسله ، وأنصار دينه ؛ كما اقتضت وجود أوليائه ، وأتباع رسله ، وسبحان من مضت إرادته ، ومشيئته ، بوجود الضدّين ، إلى أن يأتي أمر الله ، فيحكم بينهم بعدله ، ويزيد أولياءه ، من رحمته وفضله .

وهنا يعرف ذووا الألباب : مقدار ما هم عليه من النعمة

بالعقول ، التي فارقوا بها الحيوانات ؛ ويعرف ذووا الفضل ، نعمة العلم النافع ، الذي فارقوا به ، أهل الجهالات ، والضلالات ، بل ويعرفون ، حاصل هؤلاء ، الحيارى ، الضلال ، وما هم عليه ، من ذهاب العقل ، والدين ، وما خلطوا فيه ، من حق رب العالمين ، وما ردوه ، من قولنا : لا يدعى إلا الله ، ولا يستغاث إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، وغير ذلك ، مما هو اللائق برتبة الربوبية ، المختص لمستحق الألوهية ، والعبودية ، من الحب والذل ، والخضوع ، والتعظيم ، وسائر العبادات ؛ وما يليق بالمنصب النبوي ، من الإيمان به ، وتصديقه ، وتعزيره ، وتوقيره ، ومحبته ، وتحكيمه ، والرضا بحكمه ، والتسليم له ، ونصرته ، والذبّ عن سنته ، وجهاد من أشرك به ، وغلا فيه ، وطلب منه ما لا يليق بمنصبه ؛ وتعظيمه بكل تعظيم ، جاء به الكتاب ، والسنة .

ويقال لهذا المعترض :

إذا دعوت نبياً ، أو غيره ، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدر على سؤالك، وأرحم بك من ربك ، فهذا جهل ، وكفر ، وضلال ، ولا حجة له على ذلك ، لا نقلاً ، ولا عقلاً ، ولا يحتج أحد بما هو بعينه حجة عليه ، اللهم إلا من ابتلي بسوء الفهم ، وفساد التصور .

وإن كنت تعلم أن الله أعلم ، وأقدر ، وأرحم ، فلمَ ذا عدلت

عن سؤاله ، إلى سؤال غيره ؟ وهو سبحانه القائل : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ والقائـل : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ وإن كنت تقول : إنه أقرب إلى الله منك ، وأعلى منزلة عند الله منك ، فهذا حق أريد به باطل ، فإنه إذا كان أقربَ منك ، وأعلى منزلة عند الله ، فإن معناه : أن يثيبه ، ويعطيه ؛ وليس معناه : أنه إذا دعوته ، كان الله يقضي حاجتك ، أعظم مما يقضيها ، إذا دعوته أنت ، فإنك إن كنت مستحقاً للعقاب ، وردِّ الدعاء ، فالنبي ﷺ لا يعينك على ما يكرهه الله ، ولا يسعى فيما يبغضك إليه ؛ وإن لم تكن كذلك ، فالله أولى بالرحمة ، والعفو منه .

فإن قلتَ : هذا إذا دعا الله ، أجاب دعاءه ، أعظم مما يجيب إذا دعوتُه أنا ؛ فهذا إن كان حياً حاضراً ، وسألته أن يدعو الله لك ؛ وأما الميت ـ نبياً كان ، أو غيره ـ فسفه ، وتيـه : أن تدعوهم ، وقد ذهبت حواسهم ، وخرجوا من الدنيا ، وارتفعت أرواحهم إلى الجنان ، أو ما شاء الله ، وفارقت أبدانهم ، وتدع الحي القيوم ! .

وإن ظهـرت لك رتبـة الخالق ، جـل وعلا ، عن رتبـة المخلوق ، فبـأي شيء أجـزت التسـويـة ، بين الخـالق ، والمخلوق ، في العبادة التي خلق الله الخلق لها ؟ أرنا آية أو حديثاً ؛ ولن تجد إلى ذلك سبيلاً ؛ ولعله إنما خفي هذا عليه ،

لأنه نشأ بين عباد القبور ، الداعين لها ، المتوسلين بها ، وبأهلها ، فظن أن ذلك هو الدين ، لم يعرف الإسلام من الشرك ، ولا المسلمين ، من المشركين ، ولم يعرف ربه ، وما يجب له من الحقوق ؛ ولم يعرف نبيه ، وما يجب له .

هذا والحقيقة : أن من جوز الشرك بالله ، إنما جوزه بين الله ، وبين إبليس اللعين ، أبغض الخلق إلى الله ، وأمقتهم عنده ، وهو العدو المبين لنا ؛ وما عبدَ ، من عبدَ غير الله ، إلا الشيطان ، قال تعالى : **﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾** .

ولما عبد المشركون ، الملائكة ، بزعمهم ، وقعت عبادتهم ، في نفس الأمر ، للشيطان ، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة ، قال تعالى : **﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾** فالشيطان ، يدعو المشرك إلى عبادته ، ويوهمه أنه ملك .

وكذلك عباد الشمس ، والقمر ، والكواكب ؛ يزعمون أنهم يعبدون ، روحانيات هذه الكواكب ، والشياطين ، هي التي تخاطبهم، وتقضي لهم بعض الحوائج ولهذا إذا طلعت الشمس، قارنها الشيطان ، فيسجد لها الكفار ، فيقع سجودهم له ؛ وكذلك عند غروبها ؛ وكذلك من عبد المسيح ؛ وأمه ، لم يعبدوهما ،

وإنما عبدوا الشيطان ، فإنه إنما يعبد ، من أمره بعبادته ، وعبادة أمه ، وهو الشيطان الرجيم ، لعنه الله ، لا عبد الله ورسوله .

وكذلك من عبد رسول الله ﷺ إنما تقع عبادته للشيطان ؛ وكذلك من عبد القبور ، وغيرها ؛ فالشياطين : هي التي تخاطبهم ، وتقضي بعض أغراضهم ، ويدل على ذلك كله ، قوله تعالى : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان** ﴾ فما عبد أحدٌ غير الله ، كائناً من كان ، إلا وقعت عبادته للشيطان ، فيستمتع العابد بالمعبود ، في حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد ، في تعظيمه له ، وإشراكه مع الله ، الذي هو غاية رضى الشيطان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس** ﴾ من إغوائهم ، وإضلالهم ﴿ **وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها** ﴾ .

وهل قدَّر الله حق قدره ، من سوى بينه ، وبين عدوه ؟ وشارك بينه وبينه ، في محض حقه ، من الإجلال والتعظيم ، والذل والخضوع ، والخوف والرجاء وغير ذلك ؟! فلو جعل أقرب الخلق إليه شريكاً في ذلك ، لكان جرأة ، وتوثباً ، على محض حقه ، عز وجل ، واستهانة به ، وتشريكاً بينه ، وبينه ، فيما لا ينبغي ، ولا يصلح إلا لله ، عز وجل ؛ فكيف تسوية الله ، عز وجل ، بالشيطان اللعين ، المطرود ، المبعد ، الذي يخطب يوم القيامة ،

بالبراءة ممن اتبعه ! قال الله تعالى عنه : ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل** ﴾ .

وهذا هو السر الذي لأجله ، كان الشرك أكبر الكبائر ، عند الله ، وأنه لا يغفر ، بغير التوبة منه ، وأنه يوجب الخلود في النار ، أبد الآباد ، وليس تحريمه ، وقبحه ، بمجرد النهي عنه ، بل يستحيل على الله ، سبحانه وتعالى ، أن يشرعه لعباده ، كما يستحيل عليه تعالى ، تناقض أوصاف كماله ، ونعوت جلاله ، وكيف يظن بالمتفرد بالربوبية ، والإلهية ، والعظمة ، والجلال ، أن يأذن في مشاركته في ذلك ؟! أو يرضى به ؟! تعالى الله عن ذلك ، علواً كبيراً .

قال الجزائري :

أيها الشيخ النجدي : إن هذا البحث ، أكل الدهر عليه ، وشرب ، فكم ألفت فيه ، مؤلفات ، وكم كتبت فيه رسائل ، ونشرت فيه مقالات ، بالجرائد ، والمجلات ، وأصبح معلوماً ، لدى الخاص والعام ، فلو أتحفتمونا ، بما يفيدنا ، من تفسير آية ، أو بيان حديث ، أو موعظة حسنة ، لكنا لكم من الشاكرين.

والجواب :

إن هذا المعترض ، أظهر للناس فساد عقله ، ودينه ، وموافقته ، ومشابهته الأمم المكذبة للرسل ، الذين إذا دعوا إلى إفراد الله بالعبادة ، نَفَروا ، ونفَّروا ، ونصبوا العداوة للداعين ، وأَلَّبُوا عليهم ، وكذبوهم ، واقشعرت جلودهم ، واشمأزت قلوبهم ، وقالوا ، ما حكى الله عنهم : ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾، ﴿ **أجئتنا لنعبد الله وحده** ﴾، ﴿ **لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا** ﴾، ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾.

وكذا هذا المعترض ، يقول : إن هذا البحث ، يعني في الأمر بعبادة الله وحده ، وكفر من عبد معه غيره، أكل الدهر عليه وشرب ، فكم وكم . . . إلخ ؛ وأصبح معلوماً ، لدى الخاص والعام ، فلا تعرضوا للبحث فيه ، فقد فرغ منه ، وطوي بساطه ، واستغني عنه ، فلا حاجة لنا ، فيه سب ، وكفر ؛ ورسول الله ﷺ أخذ عشر سنين ، يدعو إلى التوحيد ، وإفراد الله بالعبادة ، وينهى عن الشرك ، واتخاذ الأنداد ، وأن يتركوا ، جميع ما كانوا يعبدونه ، من تلك الأوثان ، قبل فرض الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وغير ذلك .

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام ، واتفاق السلف : أن أصل الإسلام ، وأول واجب يؤمر به الخلق ، عبادة الله وحده ؛

وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾، ﴿ واعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وهو أول دعوة الرسل : ﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾، ﴿ أن لا تعبدوا إلا الله ﴾ وفي الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام ، لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال له : « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » وفي رواية : « إلى أن يوحدوا الله ».

بل أفصح هذا المعترض عن محصوله ، وعبـر عن كراهته سماع الدعوة إلى التوحيد ، إنما كتبته لا يفيده ، وليس من الموعظة الحسنة ، فيشكرني عليها ، بل الموعظة الحسنة عنده : التعاضد ، وجمع الكلمة على عبادة غير الله ! وتكفير من دعا إلى عبادة الله وحده !!.

كـل فتاة بـأبيها معجبـة... أريها السها وتـريني القمر ؛

أي دعوة أولى من الدعوة ، إلى إفراد الله بالعبادة ؟! أي إسلام يبقى مع هدم أصل الإسلام ؟ وقاعدته الكبرى ؟! وبقاء الإسلام ومسماه ، مع بعض ما ذكره الفقهاء ، في باب الحكم المرتد ، أظهر من بقائه ، مع عبادة غير الله .

وقد أفصح الله عن تفرده ، بالربوبية والألوهية ، ونصب الأدلة ، والبراهين ، على ذلك ؛ ومنه : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله ﴾ إلى قوله ﴿ وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ . ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا

ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ ، ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ . وفي الآية الأخرى : ﴿ إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ﴾ الآية ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ وغير ذلك من الآيات ، الدالة على النهي ، عن عبادة غير الله ، وخسران الداعي .

ولكن اعتقد عباد القبور ، والمشاهد ، والدعاة إليها ، نقيض ما أخبر الله به ، واتخذوهم شركاء ، في استجلاب المنافع ، ودفع المضار ، بالالتجاء إليهم ، والرغبة ، والتضرع ، وغير ذلك ، من أنواع العبادة ، التي لا يجوز صرفها ، إلا الله عز وجل ؛ فجعلوهم شركاء لله ، في ربوبيته ، وإلهيته ، فوق شرك ، كفار العرب ، فإن أولئك ، يدعونهم ، ليشفعوا لهم ، ويقربوهم إلى الله ، وهؤلاء جعلوا لهم ، نصيباً من التصرف والتدبير ، وجعلوهم معاذاً ، وملاذاً في الرغبات ، والرهبات ؛ هذا ، والقرآن يتلى في المساجد ، والمدارس ، والبيوت ! .

ونصوص السنة : مجموعة ، مدونة ، معلومة الصحة ، والثبوت ؛ وكتب أهل التحقيق : مشحونة ، بالنهي عن عبادة غير الله ، وهذا المعترض ، يقول : أصبح التوحيد معلوماً ؛ وهو من أجهل الناس به ؛ وفي جهته طائفة ، قائمة بالدعوة إلى التوحيد ، على ساق ؛ وهو وأمثاله ، لا يعذرون ، في هذه المباحث الأصولية ، الظاهرة الدليل ، بل عليهم وزرهم ، ووزر من اتبعهم ، إلى يوم القيامة ، من غير أن

ينقص من أوزارهم شيء ، قال تعالى : **﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾** .

والحمد لله ، لا نحصي ثناء عليه ، يفر هذا المعترض ، وأضرابه ، من أن يؤمر بعبادة الله وحده ، وينهى عن عبادة غير الله ، وهيهات ! أين المفر ؟ والإله الطالب ؛ حيل بين العير ، والنزوات ، بما من الله به ، من كتابه العزيز الذي **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾** وبما جاء به محمد ﷺ عبد الله ، ورسوله ، وخليله الصادق الأمين ، من الحكمة ، والهدى ، والبيان ، لحدود ما أنزل الله عليه ، وبمن غرسهم الله لدينه ، ورثة رسله ، يجاهدون ببيان دينه ، وشرعه ، من ألحد في كتابه ، وصرفه عن موضوعه ؛ فلا يمكن أحد أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله ، من يبين خطأه ، فيما بدله ، لا سيما أصل الأصول ، توحيد الله ، الذي أنزل الكتب ، وأرسل بالدعوة إليه ، وجعل أهم الموعظة فيه .

وهذا المعترض : جعل الدعوة إليه عيباً ، وهي بحمد الله ، من أشرف المناقب ؛ وكفى بالعبد شرفاً : أن يؤمن بما ذكر الله في كتابه ، وبما جاء به رسوله ﷺ ويعمل به ، ويدعو إليه ، ويعادي الكفار ، والمشركين ، والمنافقين ، في الله ، ويوالي الموحدين لربهم ، الآمرين بما يحبه الله ويرضاه ، المنكرين لما يكرهه ، ويأباه ، ويذب عنهم .

ويا لها من فضيلة ، ما أجلها ، ونعمة ما أعظمها ، لمن وفق لها ،

بل يجب على من عرف التوحيد ، أن لا يقتصر على نفسه ، بل يدعو إلى الله ، كما هو سبيل المرسلين ، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

قال الحسن: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس، إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابة دعوته؛ وقال: إنني من المسلمين؛ هذا خليفة الله اهـ؛ وما زال ﷺ وأصحابه، وأتباعهم يدعون إلى ما أمر الله به، من الدعوة إلى توحيده، والنهي عن الشرك به، ويجاهدون من خالفهم، وتلبس بالشرك.

وإذا كان التوحيد : أول واجب ، وأهم ما يهتم به الداعي ، وهو حق الله على عباده ؛ ولا يصح الإسلام ، وسائر الأعمال إلا به ، وقد خفي على الكثير ، في أزمنة سلفت ، وازداد اليوم خفاؤه ، فكيف لا يكون بيانه ، والكتابة فيه أهمَّ الأمور؟! وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره ، لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى

طاعته ، وترك معصيته ، سبيلي وطريقتي ودعوتي ، أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، على بصيرة بذلك ، ويقين علم مني به أنا ، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً ، من اتبعني وصدقني ، وآمن بي ، وسبحان الله ، يقول تعالى ذكره : وقل تنزيهاً لله ، وتعظيماً له ، من أن يكون له شريك في ملكه ، أو معبودٌ سواه في سلطانه ؛ وما أنا من المشركين ؛ يقول : وأنا بريء من أهل الشرك به ، لست منهم ، ولا هم مني ، اهـ .

ومن حكمة الله تعالى : أن ابتلى الداعين ، إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ من إفراد الله بالعبادة ، بأصناف من الناس ؛ صنف عرفوا الحق ، فعادوه ، حسداً وبغياً ، كاليهود ؛ وصنف فتنتهم أموالهم ، وشهواتهم ، وصنف نشأوا في باطل ، وجدوا عليه أسلافهم .

وصنف أعرضوا ، عما جاءهم من الله ، وصدق عليهم قوله : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ فلم ينجع فيهم كتاب ، ولا سنة ، ولا دعاة إلى الله ، كهذا المعترض المعاند ، الذي استحوذ عليه الشيطان ، فأنساه حق الله ، وأغفله عن جلاله وعظمته ، وأغراه بالشرك ، ومدَّ له في غيه ، وضلاله ، فأقبل إليه يُلحُّ في الدعوة إليه ، وإغراء الناس به ، كأنه الحقّ كل الحق ، والخير كل الخير ! ويزعم أنه يدعو إلى الحق ! وهو من أكبر الدعاة إلى الباطل ، ومن أكبر مخالف للنصوص الشرعية ، في أخص ما يدعو إليه الرسول ﷺ ﴿ **ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾ .

وقد قيض الله له في قطره ، الجزائر ، طائفة يدعونه إلى توحيد

الله ، وينذرونه عن الشرك ، ويوضحون له : أن حق الله على عباده ، أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأن نسبة الشرك ، من التوحيد ، نسبة الليل من النهار ، والعمى من الأبصار ، يعرض للأمم الموحدة ، كما يعرض الظلام للضياء، ويطرأ عليها، كما تطرأ الأسقام على الأجسام، وأنه لا يحفظ التوحيد علم، كالكتاب، والسنة، ولا تجلي الشرك دعوة، كالدعوة بأسلوبهما، وأن القرآن العظيم يقص علينا، أن أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون، هو توحيد الله ؛ وأول ما ينكرونه هو الشرك .

وأنه إذا كان الاحتياج ، إلى معرفة الشرك شديداً ، كان تعريف الناس به ، أمراً لازماً أكيداً ، وإذا كان الباعث إلى هذا التعريف ، إقامة العقيدة ، فهو من النصيحة المفيدة الحميدة ؛ وأنه ليس الإرشاد إلى الخير النافع ، بأولى من التنبيه على الباطل الضار ؛ بل كلاهما غرض حسن ؛ وسنن لا يعدل عنه الساعون ، في خير سنن ؛ وأن هذا ما حمل المصلحين ، المجددين ، على الاهتمام بدعوة المسلمين ، إلى إقامة التوحيد ، وتخليصه من خيالات المشركين ؛ وقالوا : ما رفعنا أصواتنا بتلك الدعوة، حتى ثارت علينا زوابع، من سلكوا للشرك كل الذرائع، وشوهوا للعامة غرضنا الحميد، بما يجدون الجزاء عليه يوم الوعيد؛ وذكروا جملاً، في بيان الشرك، ووسائله، ولم ينجع في هذا المعترض.

وما كتبته ـ بحمد الله ـ صريح في الدعوة إلى توحيد الله ، وإفراده بالعبادة ، والأمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر ، لا يضره ضلال من ضل ، إذا اهتدى ، وقام بالواجب ؛ وقد قال الله تعالى ، لنبيه

محمد ﷺ ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون** ﴾ .

قال الجزائري :

وها أنا أكتب ، في هذه الرسالة ، ما حضرني ، في هذا الموضوع ، متوكلاً على الله سبحانه معتمداً عليه ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

والجواب : أن استدلاله بقوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة** ﴾ الآية ، لا يدل على مراده ، من جواز دعاء غير الله ، بل يوجب أن يقابل بالقبول، والتسليم، ويقتضي الإقبال على فهم المراد منه ، والعمل به ، وأن لا ينصب نفسه خصماً له ؛ والخلاف بيننا وبينه ، في التزامه ، والعمل به ؛ وأما مجرد الدعوى ، فلا يجدي شيئاً ، أين العنقاء لتطلب ؟ أين السمندل ليجلب ؟! .

وإنك لتمر على رسالته ، من أولها إلى آخرها ، فلا تجده فهم عن الله ورسوله ﷺ مراداً ، كما ينبغي ، في موضع واحد ؛ وزبدة رسالته : ردّ ما استدل به ، من قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك** ﴾ الآية ، وقد تقدم ما قاله الحسن في معناها ، بل : حاصل رسالته ، عزل الكتاب ، والسنة ؛ واتباع ما هويت نفسه ، من الدعوة إلى الشرك ، والتوسل بالأنبياء والصالحين ، ودعائهم مع الله .

والله يعلم : من الذي يدعو الناس إلى سبيل الله ، بإخلاص العبادة

لله ، وإسلام الوجه له ، وترك التعلق على الأنبياء ، والصالحين ، والأنداد، والشفعاء؛ ومن الذي يدعو إلى الشرك بالله، وتسويته بالمخلوقين، وإخراج المشركين، عباد الأنبياء والصالحين، من التكفير، الذي أجمع عليه كافة المسلمين.

وكيف يحتج علينا : بأن الله قال ذلك ، مدعياً مقتضاه ؟ وقد خالفه؟ وخرج عادل عليه؟ واستبشع النهي عن دعوة غير الله؟ وغصّ به؟! ولو عقل لأعرض، وأراح المسلمين من اعتراضه.

بل الطامة الكبرى : رده ما استدللتُ به ، من الكتاب والسنة ، مما هو صريح الدعوة إلى سبيل الله ، ومناقضته له ، وتصديه لرد الدعوة إلى الله ، فاجتمع فيه الجهل بما يورده ، ورد الحق ، والفرح بما عنده من المحال ، واقتناعه بما ألفه من الخيال ، وإيثاره ما عنده من الضلال ؛ بل حقيقة رسالته : الدعوة إلى الشرك بالله ، وعبادة الشيطان ، والخبط والهمط ، والتخليط ، والمجادلة ، وترجيح أهل الشرك ، والاندراج في سلكهم ، والتجانف عن المسلمين ، وتكفيرهم .

يا ويحه ! ما أكبر زلته ! وما أغلظ كفره ! وما أشد عداوته ، لما جاءت به الرسل ، واتفقت عليه دعوتهم ! وما أبغضه للإسلام والمسلمين ! هذا والله من أكبر أعوان إبليس وأنصاره ، يظهر للناس في ثياب القراء ، والعلماء والنصحاء ، وهو من أجهل مَن تحت أديم السماء ، وأغشهم.

من فرقة ما خان دين محمد وجنى عليه وملَّهُ إلا هي

وما ذاك ببدع ، قد غلط في مسمى التوحيد طوائف ، في القرون السابقة ، كالغلاة ، وأهل الاتحاد والحلول ، كما غلط هذا المعترض ؛ يرون مذاهبهم هي التوحيد ؛ لم يعرفوا توحيد المرسلين ، وأن ما يحصل من التأله ، والاستغاثة بالأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم شرك ، مخالف لما جاءت به الرسل ، من توحيد الله ، وإسلام الوجه له ؛ بل أنكروه ، وكفروا من دعا إليه ، ونصبوا العداوة لأهله ؛ فما بالك بهذا العصر المظلم ؟! عصر الانحطاط ! والخرافات ! عصر غربة الدين ! .

أتظن أن الدين مع تطاول الدهور، يزيد ظهوراً؟ لا والله؛ وقد أخبر ﷺ في حديث ابن مسعود: أنه يعود غريباً كما بدأ، فطوبا للغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ يا رسول الله؛ قال: النزّاع من القبائل. وفي حديث عبدالله بن عمرو، قيل: «من الغرباء يا رسول الله؟ قال: ناس صالحون قليل، في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

وقوله: «إنهم النزاع من القبائل» فإنه سبحانه بعث رسوله محمد ﷺ وأهل الأرض على أديان مختلفة، ما بين عباد أوثان، وعباد نيران، وعباد صلبان، وعباد ملائكة، وأنبياء، وصالحين؛ وأهل كتاب، وصابئة، وفلاسفة؛ كما أخبر الله عنهم؛ فكان الإسلام، في أول ظهوره غريباً، وكان من أسلم منهم، واستجاب لله، غريباً في جنسه، وقبيلته، وقريته، وعشيرته.

وكان المستجيبون لدعوة الإسلام: نزاعاً من القبائل، آحاداً منهم، تغربوا من قبائلهم، وعشائرهم؛ فكانوا هم الغرباء، حتى ظهر الإسلام، وانتشرت دعوته ﷺ ودخل الناس في الدين أفواجاً؛ ثم أخذ في الاغتراب، حتى عاد غريباً كما بدأ، بل الإسلام الحق، الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، اليوم، أشد غربة منه في أول ظهوره؛ وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة، مشهودة معروفة، فالإسلام الصرف الحقيقيُّ غريب جداً، وأهله غرباء بين الناس.

وكيف لا تكون فرقة واحدة، قليلة جداً، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذوات أتباع، ورياسات، ومناصب، وولايات، لا يقوم لها سوق، إلاّ بمخالفة ما جاءت به الرسل، فإن نفس ما جاءت به الرسل: يضاد أهواءهم، ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات، التي هي منتهى فضيلتهم، وعلمهم، والشهوات، التي هي: غاية مقاصدهم، وإراداتهم؛ وكيف لا يكون المؤمن، السائر إلى الله، على طريق المتابعة، غريباً بين هؤلاء؟ الذين اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا طواغيتهم، وأعجب كل منهم برأيه.

وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان، يذوب فيه قلب المؤمن» وكيف لا تشتد الغربة؟ وكيف لا يذوب قلب المؤمن؟ وهذا المعترض وأضرابه، ينكرون الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة! ويجعلون إنكارهم، في قالب الدعوة إلى الله، ترويجاً على الجهال، ويدعون إلى الشرك، بالأنبياء، والصالحين الصرف،

الذي لم يشب ؛ وليس هو وأضرابه ، من الثنتين والسبعين ، بل خرجوا منهم ، إلى الكفر بما أمر الله به ، من عبادته وحده ، كما أخرج السلف الرافضة ، والجهمية ، من الثنتين والسبعين فرقة .

فاللجا اللجا إلى حصن الدين ؛ والحذر الحذر ، من أعدائه المارقين ، المخالفين لما جاء به رسل رب العالمين ؛ والبدار البدار ، في بيان ما جاؤوا به ، من الشرك المبين ؛ فإن أفضل القرب إلى الله ، مقت هؤلاء ، الذين حادوا الله ورسوله ، وجدوا في الصد عن سبيله ؛ وبيان ما جاؤوا به من الضلال ؛ وأفرض الجهاد جهادهم ، بالحجة ، والبيان، والسيف ، والسنان ، بقدر الإمكان ؛ والله المستعان .

قال الجزائري :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فيا حضرة الأستاذ ، الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، قد اطلعنا على مقالتكم ، التي نشرتموها ، في جريدة أم القرى ، التي تصدر بمكة المكرمة ، عدد ٧٦٤ جمادى الثانية عام ١٣٥٨هـ؛ فأولاً إنكم ذكرتم في مقالتكم : هل عبد رسول الله ﷺ؟ ثم قلت إن اليهود عبدوا العزير ، والنصارى عبدوا المسيح ، عيسى ابن مريم ، عليهما السلام ، والمسلمون عبدوا محمداً ﷺ ، لأنهم يتوسلون ويطلبون منه الشفاعة ، فقد جعلت يا أستاذ : التوسل ، وطلب الشفاعة من النبي ﷺ عبادة ؛ وهذا مردود عليك، والعبادة لله وحده، وما محمد ﷺ إلاّ نبيه ورسوله .

والجواب : أن في كلام هذا المعترض الضال ، من الكذب على الله ، وعلى رسوله ، وعلى أولي العلم ، من ورثته ، والقول عليهم بغير علم ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على اللغة ، والشرع ، والعرف ، والعقل ، ما يعز استيفاء الكلام عليه ، واستقصاؤه .

وإذا سمعه المؤمن ، عرف قدر ما أنعم الله به عليه ، من نور الإسلام ، كيف تلاعب الشيطان ، بهذا المعترض وأجناسه ، حتى أوصلهم إلى غاية من الجهل ، والضلال ؛ وحجبهم عن معرفة الله ، ودينه ، وحقه على عبيده ، وعن معرفة رسله ، وحقهم ، وما يجب لهم ، وما يستحيل ؛ وأوهمه ـ مع ذلك ـ أنه من أهل العلم بشرعه ودينه ، في التحريم والتحليل ؛ وهو كما ترى ، ليس معه من الإسلام أصل، ولا خبر، ولم يقع من ذلك على عين ولا أثر.

فإن حاصل مرامه ، ومغزى كلامه : أن من توسل برسول الله ﷺ، على عرفهم اليوم ـ وهو : دعاؤه ، وطلب الشفاعة منه ـ فإنما عبد الله وحده ، وذلك تمويه منه ، وزور ، وفجور ، وكفر بآيات الله ، وتغطية للحق ، بالتمويه والتكذيب ، بما لم يسبق إليه ؛ فإن التوسل بالأموات ، من الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ـ في عرف هؤلاء ـ هو دعاؤهم من دون الله عز وجل ، والاستغاثة بهم ، والالتجاء إليهم ، الذي هو مخ

العبادة ؛ وهو عند الله ، وعند رسوله ، وعند أولي العلم : شرك ، وكفر ، وخروج من الدين ، بإجماع المسلمين .

وكذلك طلب الشفاعة وغيرها ، من نبي ، أو غيره بعد موته ، كأن يقول: يا رسول اشفع لي ؛ أو يا ولي الله أغثني ؛ أو أدركني ؛ أو أنا في حسبك، أو يطلب منه نفعاً، أو دفع ضر، أو يلجأ إليه في مهماته ، هو أصل شرك المشركين ؛ يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فيدعونهم ، ويستغيثون بهم ، فأكذبهم الله ، وكفرهم ، وأخبر أنه لا يهديهم ، فقال : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار** ﴾ وقال : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ فأبطل زعمهم ، وأسجل على كفرهم ، ولم ينفعهم قولهم ، تشفع ، وتقرب ، مع وجود الحقيقة ، فانهدم أصل هذا المعترض ، وظهر تلبيسه ، وترويجه ، ورده للكتاب والسنة .

وظهر أن التوسل ، والتشفع ـ على عرف عباد القبور اليوم ـ هو عبادة لهم ، بما هو محض حق الله ، الذي من صرف منه شيئاً لغير الله ، صار مشركاً ، مخلداً في النار ، بإجماع المسلمين ؛ والمعترض : جعله من التوسل المندوب ، المأمور به ، ومما

شرعه الله ورضيه ؛ فأبعد المرمى ، ولم يعرف مناط الأحكام ، وأراد بكلمة مشتركة ، ترويجاً وتلبيساً ، وإباحة للشرك بالله .

ولا يمتري من له أدنى مسكة ، من عقل ، ودين : أن تأتي شريعة ، أو رسالة ، بإباحة ذلك قط ؛ فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به ، وسأله أن يشفع له عند الله ، ولا يشفع عند الله أحد إلا بإذنه ، والله سبحانه لم يجعل الاستغاثة بغيره ، وسؤاله ، سبباً لإذنه ؛ وإنما السبب : كمال التوحيد ؛ فإذا جاء المشرك بسبب يمنع الإذن ، كان بمنزلة من استعان في حاجة ، بما يمنع حصولها ؛ وهذه حالة كل مشرك .

وأيضاً : الشفاعة ملك لله ، فلا تطلب إلا منه ؛ وكذا الإستغاثة به ، عبادة ، قال تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ فلا يجوز صرفها لغيره ؛ والاستغاثة : طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ؛ كالاستنصار : طلب النصر ؛ والاستعانة : طلب العون ؛ قال الحليمي ، الغياث : هو المغيث ؛ وأكثر ما يقال : غياث المستغيثين ؛ ومعناه : مدرك عباده في الشدائد ، إذا دعوه ، ومجيبهم ، ومخلصهم .

وقد ذكر أهل العلم أشياء ، مما كفر الله به النصارى ، كقول بعضهم : يا والدة المسيح ، اشفعي لنا في الإله ؛ أو يا عيسى : أعطني كذا ، أو افعل بي كذا ؛ وكان من هذه الأمة من يقول ،

كما تقول النصارى، وكما يقول المشركون الأولون، كمن يقول: يا رسول الله ، أو يا عبد القادر ، أو يا أحمد البدوي، أغثني ، أو انصرني ، أو اشفع لي ، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية ، التي تتضمن العدل بالله ، والتسوية به ، تعالى الله وتقدس .

وتناول الوعيد ، لأهل هذه الأزمان ، إذا فعلوا ما فعله اليهود ، والنصارى ، ومشركوا العرب : هو موجب بقاء هذه الشريعة المطهرة ؛ والاستدلال عليه بما أنزل الله في أولئك ، من أصح الاستدلال . وجعله من العبادة لهم من دون الله ، أظهر من الشمس رابعة النهار ؛ ولو عرف أن جمهور المشركين ، يحتجون بالشفاعة على شركهم ، ويقررون ما للملائكة ؛ والأنبياء والصالحين ، من المنزلة والشفاعة ، لأحجم عن ذلك ، وعرف أنه قد انخرط في سلكهم ، وعلى طريقتهم .

وقوله ، إني قلت : والمسلمون عبدوا محمداً ﷺ؛ غلط منه ؛ إنما قلت : وعبدت هذه الأمة رسول الله ﷺ ، يدعونه ، ويناجونه . . إلخ . والمراد : من عبده منهم ؛ كما قال الله: **﴿ وقالت اليهود ﴾، ﴿ وقالت النصارى ﴾** والمراد : من قال ذلك القول ؛ وأما من عبد رسول الله ﷺ فليس من الإسلام في شيء ، ولا يدخل في مسمى المسلمين ؛ فإن الإسلام : هو إسلام الوجه لله ، والاستسلام له بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله ؛ كما أن المشرك : اسم لمن أشرك بالله .

وقول المعترض : والعبادة لله وحده ، وما محمد ﷺ إلا نبيه ورسوله ؛ نعم ، والله : إنما العبادة لله وحده ، وما محمد ﷺ إلا نبيه ورسوله ، وهو مقتضى ما كتبناه ، فكيف تقول ، وهذا مردود عليك ؟! واغوثاه ! من طمس القلوب ؛ ولو عقلت عن الله ، وعرفت مواقع الخطاب ، وسلمت من الأشر ، والبطر ، والإعجاب ، ورد الحق ، وجحد السنة والكتاب ؛ لصدقتَ فيما قلتَه والتزمتَهُ ، ولصدَّقت ما كتبتُه ، من الدعوة إلى الله ، وسلمت من التناقض ، البين الظاهر ؛ وميزت بين حق الله ، وحق رسوله ﷺ؛ ولكنك لا تفهم ما تقول.

وإذا عدم العلم والنور ، وأضيف إلى ذلك العداوة والبهت، فمن أي باب يأتي التوفيق، والتمييز بين الطيب والخبيث، والباطل والحق ، والخطإ والصواب ، وعبادة الرحمن ، من عبادة الشيطان **﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾، ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾.**

ومن وقف على كلام هذا الرجل ، من أهل العلم والإيمان : تيقن موت قلبه ؛ وأنه لا يدرك الحسيات ، ولا الضروريات ، من أمر دينه ؛ يقول العبادة لله وحده ، وما محمد إلا عبده ورسوله ؛ ويرد على من قال : لا يعبد إلا الله وحده ، ويكفره ويدعو ، ويحض إلى أن يعبد مع الله غيره ، ويطلب منه ما لا ينبغي أن

يطلب ، إلا من الله عز وجل ؛ هذا حاصل ما عنده ، وما يعتقده ؛ وظاهر مقاله : أنه من أكابر الدعاة إلى عبادة القبور ، والأنبياء والصالحين .

ومن خلع جلباب الحياء ، فليصنع ما شاء ؛ وإلا فمعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، أن من دعا نبياً ، أو غيره مع الله ، واستغاث به ، ولجأ إليه ، وطلب منه ، ما لا يقدر عليه إلا الله ، فقد عبده مع الله ، وجعله إلهاً ، سواء اعتقد أنه إله ، أو لا ، وإن لم يكن مماثلاً لله ، ولا مشابهاً له ، فإن الإله : هو ما تألهه القلوب ، محبة وتعظيماً ، كما سيأتي .

والعبادة لغة : لمطلق الذل ، والخضوع ؛ يقال : طريق معبد ؛ أي : مذلل ، قد وطأته الأقدام ؛ وقال البيضاوي ، وصاحب الكشاف ، وغيرهما : هي أقصى غاية الخضوع والتذلل ؛ ولذا لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ، وإذا خالطها الشرك ؛ أبطلها وأفسدها ؛ ولا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما : كل ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناها التوحيد .

واختلفت عبارات العلماء في تعريفها ؛ والمعنى متقارب ؛ فعرفها شيخ الإسلام ، بقوله : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ؛ فالدين كله داخل فيها ؛ وقال ، والعبادة : اسم جامع لكمال الحب ونهايته ،

وكمال الذل ونهايته ؛ وقال : هي طاعة الله ، بامتثال ما أمر الله به ، على أَلْسُنِ رسله .

وقال القرطبي : أصل العبادة ، التذلل والخضوع؛ وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ، لأنهم يلتزمونها ، ويفعلونها ، خاضعين متذللين لله ؛ ومنهم من عرفها : بالحب مع الخضوع ؛ لأن الحب التام ، مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب ، والانقياد له ؛ فمحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ؛ وعرفها ابن القيم بقوله :

ليس العبادة غير توحيد المحبـ ـة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحـ ـب وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقك نفس اتباعك أمرَه والقصد وجه الله ذي الإحسان

فعرف العبادة : بتوحيد المحبة ، مع خضوع القلب ، والجوارح ؛ فمن أحب شيئاً ، وخضع له ، فقد تعبد قلبُه له ، فإذا تبين معنى العبادة ، التي لا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً ، تبين أن من صرف منها شيئاً لغير الله ، كان مشركاً شركاً، لا يغفره الله إلا بالتوبة منه .

فإن هذه العبادة : هي التي كان أول دعوة الرسل إليها ؛ وهي أول ما يدخل في الإسلام ، وجميع الأعمال ، كالأدوات ، والآلات ، لها ؛ وجميع المقامات : وسائل إليها ، وأسباب لتحصيلها ، فالجنة دار الذين أكملوها لله وحده ؛ والنار دار من

أشرك فيها مع الله غيره ، وسوى بينه وبين الله فيها ، وتصحيحها : تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله ؛ والقرآن من أوله إلى آخره : في تقريرها ؛ وعلم الكتب المنزلة فيه ؛ وعلمه في فاتحة الكتاب ؛ وعلمها في ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك.

وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه ، وندعوه بهاتين الكلميتن ، في كل صلاة ، فمعلوم أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وحده ، ونستعين به ؛ إذ إيجاب القول الذي هو إقرار ، واعتراف ، ودعاء ، وسؤال ؛ هو إيجاب لمعناه ، ليس إيجاباً لمجرد لفظ لا معنى له ؛ فإن هذا لا يجوز أن يقع ؛ بل إيجاب ذلك أبلغ من إيجاب مجرد العبادة ، والإستعانة ؛ فإن ذلك قد يحصل أصله بمجرد القلب ، أو القلب والبدن ، فالله سبحانه أوجب دعاءه وحده ، ومناجاته ، ومخاطبته بذلك ، فيكون الواجب من ذلك كلاماً صورة ، ومعنى بالقلب ، وسائر الجسد .

والعبودية : تتضمن المقصود المطلوب ، على أكمل الوجوه ؛ والمستعان : هو الذي يستعان به على المطلوب ؛ وليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ، ويطمئن به ، ويتنعم بالتوجه إليه ، إلا الله سبحانه ؛ والعبادة لا تصلح إلا له وحده ، لا يستحقها سواه ، سبحانه وتعالى ، لا ملك، ولا نبي ، ولا ولي ، ولا غيرهم ، لوجوه كثيرة .

منها : أن الله إنما خلق الخلق ، لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته ، والخضوع له ، وتعظيمه ، وخوفه ، ورجائه، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والتضرع بين يديه ؛ وهي : زبدة الرسالة ؛ وحاصل الدعوة ؛ بل هي : الحكمة المقصـودة ، من إيجاد الخليقة ؛ قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ فمن جوز دعاء غير الله ، أو الاستعانة به ، أو الاستغاثة به ، نبياً كان ، أو غيره ، وجعلهم وسائط بين الله وبين عباده ، فقد ناقض هذه الحكمة ، وفتح باب الشرك ، وشاق الله ورسوله .

الثاني :

أن الله هو الذي حكم على عباده ، أن يعبدوه وحده ، بجميع أنواع العبادة ؛ وحكم بالشرك على من اتخذ مع الله إلهاً آخر ؛ فهل يقبل حكم هذا المعترض؛ بإسلام من جعل مع الله إلهاً آخر ؟! ونبذ حكم الله وراء ظهره ؟! وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم** ﴾ .

الثالث :

أن الله أمر عباده بدعائه ، والاستغاثة به ، والاستعانة به ، وإنزال الحاجات به ، فقال : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ .

وفي الحديث : « من لم يسأل الله يغضب عليه »، « وإذا

سألت فاسأل الله » ودعوى جواز التوسل بالأنبياء والصالحين ، الذي هو عبادتهم ، والاستغاثة بهم ، والاستعانة بهم ، ونحو ذلك ، يهدم هذا الأصل .

الرابع :

أن الله دعا عباده ، بربوبيته العامة الشاملة ، وانفراده بالخلق والتدبير ؛ وغير ذلك من أفعال الربوبية ، الشاهدة لعبادته ، الجامعة لمحبته ، وتعظيمه ، ودعائه ، وترك التعلق على غيره ، محبةً وتعظيماً ، واستعانة ، وغير ذلك ؛ قال تعالى : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ؛ يحتج سبحانه عليهم ، بما أقروا به من الربوبية ، على إبطال قصد غيره بالعبادة .

فإذا قيل : تجوز الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين ، ويجوز دعاؤهم على أنهم وسائط ؛ انتقضت تلك الأصول ، وفتح باب الشرك الأعظم ، وعادت الرغبات والرهبات ، والتوجهات ، إلى الأموات ، وسائر من يدعى مع الله ، من سائر المخلوقات ، وهذه هي الغاية الشركية ، والعبادة الوثنية ، والحالة الجاهلية الأولى .

الخامس :

أن دعوة الرسل ، من أولهم إلى آخرهم ، اتفقت على إخلاص العبادة لله بجميع أنواعها ؛ قال الله تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، ﴿ **وما**

أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾.

فكيف ساغ لهذا المعترض ، المدعي نصرة الحق ، أن يخالف جميع ما جاءت به الرسل ، من إخلاص العبادة لله وحده ، ويشرع ديناً لم يأذن به الله ولا رسله ؟! بل إنما بعثوا بالنهي عنه ، وتكفير فاعله **﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾.**

السادس :

أنه لا فلاح ولا نجاح ، ولا لذة ولا سرور للعبد ، إلا بأن يكون الله إلهه ومعبوده ، ومستغاثه الذي إليه مفزعه عند الشدائد ، وإليه مرجعه في عامة المطالب والمقاصد ؛ والعبد به فاقة وضرورة إلى أن يكون الله هو معبوده ، ومستغاثه ومفزعه ؛ ولو توجه إلى جميع المخلوقات لم تسد فاقته . ولم تدفع ضرورته .

وأي فاقة سدت ، وأي ضرورة دفعت ، وأي سعادة حصلت ، لمن توجه واستغاث ، بغير الملك الحنان ؟! اللهم إنا نبرأ إليك مما جاء به هذا المعترض ، ومما قاله في دينك وكتابك ، وعلى رسولك ، وعبادك الصالحين ، وأوليائك المتقين .

السابع :

أن ما قاله هذا المعترض ، هو بعينه قول عباد الأصنام ، كما

حكى الله ذلك عنهم في كتابه ، إذ قال : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ ، ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ . وغير ذلك من النصوص المحكمة ، البينة الصريحة ، في أن المشركين ، لم يقصدوا إلا الجاه، والشفاعة ، والتوسل ؛ بمعنى : جعلهم وسائط ، تقربهم إلى الله ، وتقضي حوائجهم منه ؛ وقد أنكر الله ذلك ، وأخبر : أن أهله ، هم أصحاب النار .

الثامن :

أن من أعرض عن الله ، وقصد غيره ، فقد أساء الظن بربه ؛ وأعظم الذنب عند الله ، إساءة الظن به ، فإن المسيء به الظن ، قد ظن به ما ينافي كماله المقدس ؛ أو ظن به ما يناقض اسماءه ، وصفاته ، وموجب حكمته ، وحمده .

ولهذا توعد سبحانه ، الظانين به ظن السوء ، بما لم يتوعد به غيرهم ، فقال : ﴿ **عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً** ﴾ ، ﴿ **ماذا تعبدون ، أإفكاً آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين** ﴾ أي : فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه ، وقد عبدتم غيره ؛ وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته ، من النقص ، حتى أحوجكم ذلك إلى عبادة غيره .

فلو ظننتم به ما هو أهله ، من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل

شيء قدير ، وأنه غني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه المتفرد بتدبير خلقه ، لا يشركه فيه غيره ، والعالم بتفاصيل الأمور ، فلا تخفى عليه خافية من خلقه ، القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء ، الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، لعلمتم أن إدخال الوسائط بينه وبين خلقه ، تنقص بحق ربوبيته ، وإلهيته وتوحيده ، وظن به ظن السوء ؛ وأنه يستحيل أن يشرعه لعباده ، ويمتنع في العقول والفطر ؛ وقبحه مستقر في العقول السليمة ، فوق كل قبيح ؛ فإن العابد ، معظم لمعبوده ، والرب تعالى : هو الذي يستحق كمال التعظيم ، والتأله والخضوع ، وهو خالص حقه على عباده .

ومن أقبح الظلم : أن يعطى حقه لغيره ، ويشرك بينه وبينه فيه ؛ ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكاً له في حقه ، هو عبده المملوك له ؛ قال تعالى : ﴿ **ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء** ﴾ أي : إذا كان أحدكم ، يأنف من أن يكون مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي ، شركاء فيما أنا متفرد به ؟! وهو الإلهية ، التي لا تنبغي لغيري ، ولا تصلح لسواي .

التاسع :

أن الله أسجل على من دعا غيره ، أنه لا أضل منه ، فقال : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له** ﴾ الآيتين ،

وفيهما أمور خمسة ، كل واحد منها ، يبطل دعاء غير الله ، وينقض ما أصله هذا المعترض من أساسه .

الأول ، قوله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله ﴾ ففيها بيان : أن دعوة غير الله ، هي الغاية في الضلال .

الثاني قوله : ﴿ من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ﴾ فدعاء من لا يستجيب لداعيه ، عناء وشقاء ووبال ، وخسران في الحال ، والمآل .

الثالث قوله : ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ فالداعي لمن هو غافل عنه لا أضل منه ، وكيف يدَع القريب المجيب ، ويدعو من هو غافل عنه لا يسمعه ، ولو سمعه ما استجاب له .

الرابع قوله : ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ﴾ فخاب سعي من دعا مع الله غيره ، وخسر وشقي ، من يكون مدعوه ، خصماً له يوم القيامة .

الخامس قوله : ﴿ وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ فإذا كان كل نبي ، أو ولي ، أو عبد صالح ، يكفر بعبادة من دعاه مع الله ، يوم الحشر ، بنص كتاب الله العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ؛ ويصير مصير الداعي بدعوته تلك إلى النار ، فلا أضل منه ، ولا أخسر من صفقته ، ولا أكبر منه حسرة وندامة ، يوم القيامة ؛ ومن تدبر كتاب الله ، وجد نظائر هاتين الآيتين كثيرة.

العاشر :

أن الله أراد منا ، أن لا نشرك به في عبادته ، وتوعد بالنار من فعل ذلك ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، بالإنذار والتحذير من ذلك ؛ وفي الصحيحين : « يقول الله لأهون أهل النار عذاباً ، لو كانت لك الدنيا وما فيها ، ومثلها معها ، أكنت مفتدياً ؟ فيقول : نعم ؛ فيقول : أردت منك أهون من ذلك ، وأنت في صلب آدم ، أن لاتشرك فأدخلك النار ، فأبيت إلا الشرك » فمن خالف ما أراده الله به ، من توحيده ، وأشرك به غيره ، استحق النار ، ولم ينفعه شركه .

والشرك نوعان ، شرك في الربوبية ، بأن يجعل لغير الله مع الله تدبيراً ؛ وفيه قوله : ﴿ **قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً** ﴾، ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة** ﴾ الآية ، فأخبر أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ، ولا يشركونه في شيء من ذلك ، ولا يعينونه على ملكه؛ ومن لم يكن مالكاً ، ولا شريكاً ، ولا عوناً فقد انقطعت علاقته .

وشرك في الإلهية ، بأن يدعو غيره ، دعاء عبادة ، أو دعاء مسألة ؛ وفيه قوله : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ والدعاء المتضمن شركاً ، كدعاء غيره أن يفعل ، أو دعائه أن يدعو ، ونحو ذلك ، قال تعالى : ﴿ **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم**

الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ .

وقال : ﴿ أمَّن يجيب المضطر إذا دعـاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ﴾، ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ وكون هذه المطالب العظيمة ، لا يستجيب فيها إلا هو ، أدل دليل على وجوب إفراد الله بالعبادة ، وقطع شبهة من أشرك بـه ؛ ولكن الذي في قلبه مرض ، لا تزيده قواعد التوحيد ، وأدلتـه وحقائقه وأسراره إلا رجساً إلى رجسه .

الحادي عشر :

شهادة الله : ﴿ أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ فلم يبق معبود يعبده الأولون والآخرون ، من دون الله ؛ إلا بطلت عبادته ، وإلهيته ، بشهادة الله وملائكته وأولي العلم ؛ والمعبودات التي بطلت بهذه الشهادة ، هي : هذه الأصنام ، والأوثان ، التي لا تحصى كثرة .

ومن لم يعتقد أن هذا الذي شهد الله ، وملائكته ، وأولوا العلم ، بنفي إلهيته ، هي هذه الأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ؛ فما صدق هذه الشهادة ، ولا قال لا إله إلا الله ، ولا عرف من الإسلام ، ما يعصم به دمه وماله ، وصار عن هذه الشهادة في معزل ، ولا يكابر في هذا ، إلا جاهل مرتاب في دين الإسلام ،

وما جاءت به الرسل ، مسلوبُ العقل والدين .

الثاني عشر :

أن الله نهى عن الغلـو ، ومجاوزة الحد فيما شرعه ، من حقوق أنبيائه وأوليائه ، فقال : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني » .

وقال ابن عباس ، في قوله : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** ﴾ هذه أسماء رجال صالحين ، في قوم نوح ، فلما ماتوا ، أوحى الشيـطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم ، التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، وصوروا تماثيلهم ، ففعلوا ، فلما مات أولئك ، ونسي العلم عبدت ؛ فكيف بالدعاء والاستغاثة ، فهو نفس الشرك ، والأول وسيلته ، التي حدث بسببها ، وقد قطع الله وسيلة هذا الشرك ، وسد الذريعة صيانة للتوحيد ، وحماية لجانبه .

الثالث عشر :

أن الذي ينصر الشرك بالوساوس الشيطانية ، إنما يخاصم ربه الذي خلقه ، وأسبغ عليه نعمه ، ومن خاصم الله خصمه ؛ وقد أظهر الله حججه على من أشرك به ، واحتج عليهم بما أقروا به من ربوبيته ، على ما جحدوه من إلٰهيته ، بحجج قاطعة ، قالعة للشرك

من أساسه ؛ وأخبر أنه لا حجة لهم على ما اختلقوه ، فقال تعالى : ﴿ أإله مع الله ﴾ الآيات .

الرابع عشر :

أن الشرع الذي جاء به الرسول ﷺ، والسنة التي سنها في قبور الأنبياء ، والصالحين ، وعامة المؤمنين ، ينافي قول هذا المعترض ؛ فإنه سن ﷺ عند زيارتها : الدعاء لأصحابها ، وسؤال العافية لهم ، ونهى عن الصلاة فيها وإليها ، وخص قبور الأنبياء والصالحين ، بلعن من اتخذها مساجد ، يعبد الله فيها ، وتواترت بذلك الأحاديث فقال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد »، « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »، « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » وإنما نهى عن الصلاة فيها ، وعندها ، وإليها ، واتخاذها مساجد ، لما يفضي إليه من دعائها ، والاستغاثة بها ، وقصدها للحوائج ، سدًّا لذريعة الشرك ، المنافي للتوحيد .

الخامس عشر :

أن هذا المعترض ، وأضرابه المضلين ، المجوزين الاستغاثة بغير رب العالمين ، والتوسل ، والالتجاء ، بالأنبياء والصالحين ، وغيرهم ، الذي هو صريح التأله والتعظيم ، صاروا ، هم أكبر أسباب انتشار عبادة غير الله ، بما زينوه للعامة قولاً وفعلاً ، فلهم النصيب الوافر ، من الكذب على الله ، وعلى رسوله ، ومن الصد عن سبيل الله .

وقد أخبر الله أنه لا أضل ممن كذب عليه فقال : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته** ﴾ الآية ؛ وقال : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً** ﴾ .

وجعل سبحانه منزلة القول عليه بغير علم ، في التحريم ، فوق منزلة الشرك فقال : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » وتقدم : أن من المستحيل شرعاً وفطرة ، جواز عبادة غير الله ، وتأله سواه .

ونضرب لك أمثلة ، ولله المثـل الأعلى :

لو أن ملكاً أتاه مظلوم فسأله وعبدَه المملوك له العاجز ، ليردّا له مظلمته ؟ هل يجوزه العقل ؟! أو لو أن غنياً كريماً ، ينفق من أصناف المال ، وله مملوك لا يقدر على شيء ، فجاء محتاج فطلب المملوك العاجز ، وترك الغني ؛ هل يجوزه العقل ؟! وهل يرضى أحد : أن يواسي مملوكه معه في حقه ؟! أو لو أن مِلكاً قاهراً ، له عبيد ، لا يقدرون على شيء ، ثم يلوذ أحد العبيد ، بعبد مثله عاجز ، ويدع الملِك القادر ؛ هل يجوزه العقل ؟! .

ولو أن شخصاً : مرَّ على مقبرة ، ومعه دابة فوقعت في

حفرة ، فنادى أهل القبور ، يا فلان ، يا فلان ، أعينوني على دابتي ، وعنده رجل حي قوي ، تركه ولم يدعه ، هل يجوزه العقل ؟! ونحو ذلك من الأمثلة المعروفة ، في حق العاجز المملوك ، مع القادر ؛ بل كل عاقل يضحك منه ، ويقبحه ، ويوبخه ، وإذا كان هذا يستقبح من مخلوق ، يترك مخلوقاً أقدر ؛ فيكف بمن ترك الحي القيوم ، القادر ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، ودعا في كشف الكربات ، وإغاثة اللهفات ، من لا يملك لنفسه ضراً ، ولا نفعاً ؟!.

وليس في الكائنات من يفرج الكربات ، ويغيث اللهفات ، ويسكن العبد إليه في الرغبات والرهبات، إلا رب الأرض والسموات . والقرآن : مملوء من ذكر حاجة العباد إلى الله ، دون ما سواه ، ومن ذكر نعمائه عليهم ، وامتنانه سبحانه بذلك ، ما يقتضي افراده بالدعاء ، والمسألة ، دون ما سواه ؛ ويقتضي محبته ، وعبادته وحده ، لإحسانه إليهم ، وإسباغ نعمه عليهم **﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾**، **﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾**، **﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾**.

وقال تعالى : **﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾** أي : من

الأنداد ، وارغبوا إليهم ﴿ **فلا يملكون كشف الضر عنكم** ﴾ بالكلية ﴿ **ولا تحويلاً** ﴾ أي ولا يحولونه من حال إلى حال ؛ فإن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ فهذا خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً ، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ، ويرجو رحمته ، ويخاف عذابه ؛ فكل من دعا ميتاً ، نبياً أو غيره ، فقد تناولته هذه الآيات ، وغيرها ، وقد دعا من لا يغيثه ، ولا يملك كشف الضر عنه ؛ ونظائر هذه الآيات في القرآن كثير ؛ وكذلك في السنة .

وكل عاقل يعلم : أن تعلق العبد بمن سوى الله مضرة عليه ؛ وكذلك محبته لغير الله ، واعتماده عليه ، يوجب الضرر من جهته ، وما علق عبد رجاءه بغير الله ، وتوكل على غيره ، إلا خاب وخسر ، من تلك الجهة ؛ ولا استنصر بغير الله إلا خذل ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً** ﴾ .

والله سبحانه غني حميد ، محسن إلى عباده ؛ ومع غناه عنهم ، يريد بهم الخير ، ويكشف عنهم الضر ، لا لحاجة إليهم ؛ والمخلوق لا يتصور أن يعمل إلا لحظه ؛ فلا يقصد إلا منفعته ؛ وإذا دعوته ، ورجوته ، فقد دعوت ، ورجوت ، من ضره أقرب من نفعه ؛ قال تعالى : ﴿ **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه**

ذلك هو الضلال البعيد ، يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ .

والله سبحانه يريدك لك ، ولمنفعتك ، والمخلوق يريدك له ، ولا يقدر إلا بما كتبه الله ؛ وملاحظة هذا ، يمنع العاقل أن يرجو مخلوقاً ، أو يطلب منه منفعة ؛ وفي الحديث : « لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » فإذا أصابك مضرة ، لا يقدرون على دفعها ، إلا بإذن الله .

وجماع الأمر : أنك إذا كنت غير عالم بمصلحتك ، ولا قادر عليها ، ولا مريد لها كما ينبغي ، فغيرك من الخلق أولى ؛ والله سبحانه هو الذي يقدر ، وأنت وغيرك لا تقدر ؛ ويعلم ، وأنت وغيرك لا يعلم ؛ والله سبحانه هو الذي يعطيك من فضله العظيم ؛ وفي الحديث : « وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ، ولا أقدر ، وتعلم ، ولا أعلم » .

فإذا لم يكن للعبد ما يعتمد عليه في تحصيل مراده غير الله ، ولا يستحق العبادة سواه ، وقد خاطب الناس بقوله : ﴿ **اعبدوا ربكم الذي خلقكم** ﴾ أي : وحق ربكم الذي خلقكم أن تعبدوه وحده ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً** ﴾ أي : لا تشركوا به غيره ، بعبادة الأنداد ، التي لا تنفع ولا تضر ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ أنه لا رب لكم

يرزقكم غيره ، تعينت عبادته سبحانه ، دون من سواه ، وبطلت عبادة غيره ، كائناً ما كان ، وبذلك يبطل ما موه به .

قال الجزائري :

ويفهم من كلامك أنك منكر للشفاعة ، فلتعلم يا أستاذ : أن منكر شفاعة رسول الله ﷺ كافر ؛ كما ورد في كتاب : تبيين الحقائق ؛ شرح : كنز الدقائق ؛ للزيلعي ، صحيفة ١٣٤ في الفقه الحنفي ؛ يقول المؤلف : لا تجوز الصلاة خلف منكر الشفاعة ؛ والرؤية ، وعذاب القبر ، والكرام الكاتبين ، لأنه كافر ، لتواتر هذه الأمور عن الشارع ﷺ .

والجواب :

إن هذا البليد ، لا يفهم ما يقال ، ولا يتحاشى من الزور والبهتان ، فعلى وجهه العفا ؛ هذا نص المقالة ، التي هيجته على رد ما أمر الله به ، ورسوله ﷺ ، وعلم بالاضطرار من الدين ، وتواتر تواتراً قطعياً ؛ وعلم علماً ضرورياً ، عقلياً من إفراد الله سبحانه بالعبادة ، ونفي عبادة ما سواه ، يطلع عليها المنصف ، هل يفهم منها أني منكر للشفاعة ؟ .

هل عُبد رسول الله ﷺ؟!

نعم : عبده كثيرون ؛ ووقع ما أخبر به ﷺ حيث قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » أي : فمن القوم إلا هم ؛ وقال : « ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ، حذو النعل بالنعل ، حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية ، لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل : افترقت على ثنتين وسبعين ملة ؛ وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة » قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

فاليهود عبدوا العزير ، قالوا : إنه ابن الله ؛ والنصارى عبدوا المسيح ، وقالوا : إنه ابن الله ؛ وقالوا : هو الله ؛ وعبدت هذه الأمة رسول الله ﷺ ، يدعونه ، ويناجونه بما يشاؤ ون من أمورهم ، مستغيثين به ، لائذين به متوسلين به ، يقول أحدهم ، إذا قام ، أو قعد ، أو أهمه أمر : يا رسول الله ؛ ويقول الآخر : ما لي من ألوذ به سواك ؛ والآخر : فرج كربي يا رسول الله ؛ أو : اشفع لي يا رسول الله ؛ أو : الشفاعة يا رسول الله .

ومنهم من ينذر له ؛ ومنهم من يذبح له ؛ ويوقف لذلك الأوقاف ؛ ومنهم من يقول : هذا المال للنبي ؛ أي : قربة له ؛

وصرفوا له جل أنواع العبادة ، التي هي حق الله عز وجل ؛ وعلى ألسنتهم : الله والنبي ؛ وبالنبي ، وقد لا يحلف إلا به ؛ وإن كان هذا شركاً أصغر ، فإنه إذا كان المخلوق في نفسه ، بمنزلة الخالق جل وعلا ، لا يحلف إلا به ، يكون أكبر ، وفي الحديث : « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك ». فقد غلوا فيه ، كما غلت النصارى في المسيح ، وأطروه كما أطرته .

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » والإطراء : مجاوزة الحد ؛ أي : لا تغلوا في مدحي ، كما غلت النصارى في عيسى ، فادعوا فيه الإلهية ؛ وإنما أنا عبد الله ورسوله ، فصفوني بذلك ؛ كما وصفني ربي ؛ فأبوا إلا ارتكاب ما نهاهم عنه ، وضاهوا النصارى ، في غلوهم ، وشركهم ، وعبدوه ، كما عبدت النصارى ، عيسى بن مريم .

وحض على ذلك ، بعض من يدعي العلم ، وصنفوا فيه المصنفات ، نظماً ونثراً ، مما لا يحصى كثرة ؛ وجوزوا الاستغاثة به ، في كل ما يستغاث الله فيه ، حتى ذكر بعضهم : أنما أرسل الله ، أو يرسل من رحمة ، إلا وهو الواسطة فيها ، وأصلها ؛ وقال :

فعذ به ، من كل ما تشتكي ....
ولذ به ، في كل ما ترتجي ....

فأنت باب الله ، أي امرىء أتـاه من غيرك ، لا يـدخـل
عجل بإذهـاب الذي أشتكي فـإن تـوقفتَ فـمن أسـأل

وقال الآخر :

فتقبل واعطف ، وكن لي شفيعاً ....
واجـرني وعترتي من زمـاني ....

وقال الآخر : هو نور الأنوار ، والكل منـه

وقال آخر :

فلذ به فوق السماء وتحت الأر ض ، والعرش ، والحضيض سواء

وقال آخر : يـا مـصـطفـى أدعـوك

إلى قوله : هب لي من النفحات ما أشفى به

إلى غير ذلك مما تقشعر منه الجلود ؛ فصار عندهم : أقرب ، وأقدر ، وأرحم ، من الله عز وجل ؛ وقال آخر :

يا نبياً جرى بمولده ، الكون سـروراً ، وبهجـة ، ونشيـداً
لا تكلني إلى قصوري ، وكن لي يوم تعطى مقامك المحمـودا

ويقول المزهد : بلغهم المنى ، وأنت المنى ، يا حبيب الله ؛ واتخذوا مولده ﷺ عيداً ، مضاهاة للنصارى ، وحتى غلوا في الصلاة عليه ﷺ ، كما في دلائل الخيرات ، وغيرها ، من الغلو ، والاطراء ، والآثار ، المكذوبة ، التي لا توجد في شيء ، من كتب أهل الإسلام . وختمها بصرف خالص الدعاء له ﷺ فقال :

نبي الهدى ضاق بي الحال ، في الورى وأنت لما أمَّلتُ فيك جدير

وقال :

يا رحمة الله : إني خائف وجل   يا نعمة الله ، إني مفلس عان
فكن أمانيَ من شر الحياة ، ومن   شر الممات ، ومن إحراق جثماني
وكن غنايَ الذي ، ما بعده فلس   وكن فكاكيَ من ، أغلال عصياني

بل جعلوا له ﷺ الدنيا ، والآخرة ، كما فعل صاحب البردة ، وغيره ، وسلبوا الله ملكه ، قال بعد قوله :

يا أكرم الخلق ، مالي من ألوذ به   سواك ،عند حدوث الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا ، وضرتها   ومن علومك ، علم اللوح والقلم

وخالفوا، قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ وقوله : ﴿ **قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً** ﴾ وقوله : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً** ﴾ وقوله : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ .

بل خالفوا ما دعت إليه الرسل ، من أولهم إلى آخرهم ، وأنزلت به الكتب ؛ ومع ذلك ، يأتون على قوله تعالى : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ في اليوم الواحد مرات ، بل يقول أحدهم : لا إله إلا الله ؛ ولا يعرف أن معناها نفي الإلهية ، عن كل ما سوى الله ، وإثباتها لله وحده ، وكفار قريش ، أعلم منه بمعناها ،

فإنه ﷺ لما قال لهم : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » قالوا : **﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾** إلا أن الله عز وجل ، حمى قبره ﷺ أن يتخذ وثناً ، كما اتخذت قبور الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، وغيرهم ، أوثاناً يطاف بها ، ويعكف عندها ، ويذبح لها ، واستجاب دعاءه ، فإنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً ، قال ابن القيم رحمه الله :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران

اللهم لا تجعلنا ممن قلت فيهم : **﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ، قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ﴾** واجعلنا من **﴿ الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾** .

هذا آخر المقالة ، التي ردها هذا المعترض ، هل فيها حرف واحد ، يدل على نفي الشفاعة ؟ أو كلمة واحدة تحتمل نفي الشفاعة ؟ سبحانك ، هذا بهتان عظيم .

وكم من عائب ، قولاً صحيحاً وآفَتُـهُ ، من الفهم السقيمِ

ولكن الطريقة التي سلكها هذا المعترض ، وأمثاله ، هي : طريقة أهل البدع : الذين يجمعون بين الجهل والظلم ، فيبتدعون

بدعة مخالفة ، للكتاب والسنة ، وإجماع الأمة . ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ؛ فقاتل الله من أفك عن دينه وتوحيده ، وما جاءت به رسله ، من الإيمان به ، وإفراده بالطاعة والعبادة ؛ ورضي الله عمن دعا إلى توحيده وأمر بطاعته ، ونهى عن الشرك به، واتخاذ الأنداد له ، وأن تصرف الوجوه إلى غيره ، من نبي أو غيره .

وحاصل ما أورده : أن دعاء الرسول ﷺ أو غيره ، والاستغاثة به بعد موته ، جائز ليس بشرك ، وأن من نهى عن ذلك ، وبين أنه شرك ، فهو منكر للشفاعة ، كافر ، نعوذ بالله من هذا الإلحاد ، والتهافت ، والعناد ، والتناقض ؛ مرة ينكر علينا : تكفير من أشرك بالله ، وجعل معه إلهاً آخر ؛ وتارة : يكفرنا بمحض التوحيد ! ويزعم أنه إنكار للشفاعة !.

بل من وقف على ما كتبه ، عرف من حاله ، ومقاله ، ومحط رحله : أنه ضال مضل ، عدو لله ، ولرسوله ، وللمسلمين ، كافر ، ببعض ما أنزل الله ، مفتر ، ملحد ، مرتد ، حقه أن يضرب عنقه بالسيف. أصدر هذه الرسالة ، رداً على الله وعلى رسوله ، وإنكاراً لما بعث الله به رسله ، من الأمر بعبادة الله وحده ، وإظهاراً لعداوة أهل التوحيد ، وإلا فليس فيما كتبته ما يدل على إنكار شفاعة رسول الله ﷺ، وحاشا وكلا : أن أنكر شفاعة رسول الله ﷺ بل هو الشافع المشفع في المحشر ﷺ أسأل الله بأسمائه الحسنى أن يشفعه في .

وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات ؛ أما الشفاعة الأولى : فيشفع لأهل الموقف ليقض بينهم ، بعد أن يتراجع الأنبياء ، آدم ونوح ، وإبراهيم وموسى ، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة ، حتى تنتهي إليه ﷺ، وأما الشفاعة الثانية : فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة؛ وهاتان الشفاعتان، خاصتان له ﷺ؛ وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة ، له ولسائر النبيين ، والصديقين وغيرهم ، يشفعون لمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفعون لمن دخلها أن يخرج منها ، كما ثبت بذلك السنة ، وأجمع عليه سلف الأمة .

نعم ننكر الشفاعة الشركية ، التي يظنها المشركون ، ويدعو إليها هذا المعترض ، وإخوانه الملحدون ، ويطلبونها من غير مالكها ، وننفيها ، وهي منتفية ، كما نفاها الله عز وجل ، وأبطلها في غير موضع من كتابه ، وأخبر أنه لا يعلم وجود شفيع يشفع هذه الشفاعة ، التي قصدها المشركون ، لا في السموات ، ولا في الأرض ، وما لا يعلمه سبحانه ، فهو مستحيل الوجود .

والشفاعة المثبتة : نوع آخر ، وجنس ثانٍ ، مقيدة بقيود تمنع سؤالها من غير الله ، ولا تحصل إلا بتجريد التوحيد لله ؛ لا يعقلها المشركون ، وما يعقلها إلا العالمون ، ولا ينالها هؤلاء الضالون ، المفترون ، قال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه » فتلك

الشفاعة لأهل الإخلاص ، بإذن الله عز وجل ؛ وحقيقة : أن الله سبحانه ، هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم ، بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه ، وينال المقام المحمود .

ولا تكون لمن أشرك بالله ، وعبد رسوله ﷺ وطلب منه ، فإنه ﷺ عبد مأمور مدبر ، لا مالك متصرف ، أكرمه ربه بالشفاعة لمن شاء الله أن يشفعه فيه ، ليشرف بها ذلك اليوم ، ويمتاز بها عن غيره ، وينال المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون .

وعند هذا المعترض وأضرابه : أن من نهى عن عبادة رسول الله ﷺ، وطلب الشفاعة منه ، فقد أنكر شفاعته ﷺ، وأنه لا شفاعة لرسول الله ﷺ، ولا كرامة ، ولا فضل ، إذا لم يعبد مع الله ، ويلتجأ إليه ، ويسأل الشفاعة ؛ هذا مقتضى كلامه ، ولازمه ، بل وأن الشفاعة التي نفاها القرآن ، يلزم من نفيها ، على زعم هذا المعترض ، نفي الكرامة والفضل ، والشفاعة ، إلا بدعائه ﷺ وقصده ، والالتجاء إليه من دون الله .

وهذا : هو مفهوم كل مشرك ، يرى أن نفي الشفاعة ، التي نفاها القرآن ، كدعاء الأنبياء والصالحين ، وقصدهم للشفاعة ، وغيرها من المطالب ، إنكار للشفاعة ، وتنقص لهم ، وإبطال لفضلهم وكرامتهم ، وذلك ، لظنهم : أن الشفاعة ، ملك لهم ،

وأن الفضل والكرامة في قصدهم ، ودعائهم ، والتعلق عليهم ، وكونهم مفزعاً، وملجأ عند الشدائد والمهمات.

ولو عقلوا لعرفوا : أن الشفاعة ملك لله خاصة ، كما دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ؛ وأن الفضل كل الفضل ، والكرامة كل الكرامة ، ومنال الشفاعة في عبادة الله وحده ؛ والخضوع له وحده ؛ والالتجاء إليه وحده ، وتحقيق التوحيد ، وإسلام الوجوه لباريها ، وفاطرها ، وإلهها الحق ؛ وقد ذكر الله في كتابه ، عن خواص عباده ، ما يوجب العلم ، بأن أفضل الرتب ، وأجل الكرامات ، تحقيق العبودية ، وإخلاص العبادة لله وحده .

ومن توهم أن فوق عبادة الله وحده ، وتحقيقها وإخلاصها رتبة ، وفضلاً ، لأحد من العباد ، فهو من أجهل الخلق بالله ، وبحقه ، وما يجب له ، ومن أضلهم عن سواء السبيل ؛ ومن أجهل الناس بحق الأنبياء والصالحين ، وما يجب لهم ، وما يستحيل .

ولكن : قد عفت آثار العلم ، واشتدت غربة الإسلام ، حتى صار يتصدى هذا ، وأمثاله ، للرد على من دعا إلى الله ! وحتى ذهب ينقل الحكم بكفرنا ، بالأمر بعبادة الله وحده ! زعماً منه أنه إنكار للشفاعة ! وهو ينكر تكفير من جعل مع الله إلهاً آخر ، ويرجع ، ويقول : من كفّر مسلماً فقد كفر ! والمسلم عنده : من صرف خالص العبادة لغير الله ؛ يذكر قولاً وينفيه ! يذكره مرة

أخرى ويثبته ! ولا يتحاشى من نصب نفسه ، ضحكة للناس ؛ وقد ضرب صفحاً، عن باب حكم المرتد، من كتب الحنفية، وغيرهم، المصرح فيه ، بكفر من دعا مع الله إلهاً آخر ؛ وقد قال ، في كتاب تبيين المحارم ، المذكورة في القرآن، باب الكفر ، وهو : الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر، إلى أن قال: أو أشرك بعبادة الله شيئاً ، من خلقه ؛ أو افترى على الله الكذب ، بادعائه الإلهية ، أو الرسالة ، أو نفى أن يكون خالقهُ ربَّه ، وما أشبه ذلك ، مما يليق به ، سبحانه وتعالى عما يقولون ، علواً كبيراً ، يكفر في هذه الوجوه كلها بالإجماع ، سواء فعله عمداً ، أو هزلاً ، يقتل إن أصر على ذلك .

وقال الشيخ قاسم : في شرح الدرر ، النذر الذي يقع من أكثر العوام ، بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء ، قائلاً يا سيدي فلان : إن رد غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي ، فلك من الذهب ، أو من الطعام ، أو من الشمع ، كذا ، باطل إجماعاً ، لوجوه منها : أن النذر لمخلوق لا يجوز ، ومنها : أن ذلك كفر .

وكلامهم ، وكلام سائر الأئمة ، في تكفير من جعل بينه وبين الله واسطة ، يدعوه ، ويستغيث به ، وإجماعهم عليه ، كثير ، لا يحيط به إلا الله ، وكلام الحنفية الذين نقلت عنهم ، من أغلظ الكلام ، في هذا الباب ، حتى إنهم يكفرون المعين ، إذا قال :

يصحِّف ؛ أو : يسجِّد ؛ أو صلى صلاة بلا وضوء ؛ ونحو ذلك ؛ فكيف بتصريحهم، بكفر من أشرك بالله، واتخذ معه إلهاً آخر؟!.

ويحك ما أعماك عن هذا ؟! أهو الجهل ؟! أو الهوى ! وعداوة من وحَّد الله ! وما دعاك إلى ذلك ؟! وكذلك : ما أعماك عما في مذهب أهل جهتك ! فكلام المالكية في هذا أكثر من أن يحصر ، وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى ، والقضاء بقتل الرجل ، عند الكلمة التي لا يفطن لها أكثر الناس .

وقد ذكر القاضي ، في آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفاً ، فراجعه إن شئت ؛ ومما ذكر : أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ؛ وكل هذا دون ما نحن فيه ؛ بما لا نسبة بينه وبينه .

هَب : ما الذي صدَّك عن هذا ، حين ذهبت تنقل كفر منكر الشفاعة ! لوهمك الخاطىء ! وعادة أضرابك ؛ ومع هذا : تزعم أنك إنما رددت عليَّ ، نصرة للحق ، ودعوة للصدق .

ونناشدك بالله : ما هو الشرك الذي وقع في قوم نوح ؟ أليس هو الغلو في الصالحين ، والافتتان بقبورهم ، وصورهم ، وتماثيلهم ، والعكوف عليها ، أليس شرك العرب ، بعبادة اللات ، والعزى ، ومناة ، ونحوها ، والملائكة ، وغيرهم ، هو ما يفعل اليوم بعينه ؟ عند قبور الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ، من سائر المعبودين ؟ من دعائهم ، والتوجه إليهم ، والاستغاثة بهم ، وطلبهم الشفاعة .

هل يوجد فرق ، بين قبر عبد القادر ، وبين اللات ؟ هذا وعبد القادر بالمشرق ، لم يعرف بلدكم ، واللات رجل صالح ، كان يلت السويق للحاج ، فمات فعكفوا على قبره ؛ هل يوجد فرق بين هؤلاء ؟ وبين أولئك الذين بعث الله رسله ؛ وأنزل كتبه ، ينكر عليهم ذلك ، ويكفرهم ، ويأمر بقتالهم ، حتى يكون الدين كله لله ، أو هو الدين ، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ؟ وأهله هم المؤمنون الموحدون ؟! كما زعمت ، وشرك المشركين نوع غير هذا ؟! وجواب هذا ظاهر جداً ، لا تجد بداً من الإقرار به ، لوضوحه .

وأيضاً : ما هو شرك المشركين ، الذي يفعلونه عند آلهتهم ؟ وما الذي يريدون؟ فإن قال : شركهم عبادة غير الله ، قيل له : وما معنى عبادتهم غير الله ؟! أتظن أنهم يقولون : أن آلهتهم تخلق ، وترزق ، وتدبر أمر من دعاها ؟! أو أنهم يريدون منهم النفع ؟ والضر من دون الله ؟ كما تطلبونه من رسول الله ﷺ وعبد القادر ، وغيرهما ؟! وإن قال : لا يريدون منهم ، إلا التقرب بهم ، والشفاعة لهم ، فهذا ما حكاه الله عنهم ، وكفرهم به ، وهو الذي أنكره علينا ، وكفرنا برده .

ويقال له أيضاً : ما هو الشرك الأكبر ، الذي عظمه الله ، وأخبر أنه لا يغفر ؟ هل هو عبادة غير الله ؟ فإن قال : نعم ؛ قيل له : فما عبادة غير الله ؟ فإنه لا يعرف معناها ، وإن عرفه ، فلا تقع عبادة غير الله عنده إلا لله ، كما صرح به ، فلو سجد لصنم لم يقع السجود إلا لله ، وهذه فضيحة عظيمة ، كافية في رد هذا القول الفضيح ، فإن معصية الرسول ﷺ في الشرك ، وعبادة غير الله بعد قيام الحجة ، كفر صريح ، بالفطر والعقول ، والعلوم الضرورية ؛ فلا يتصور أحد أنك تقول لرجل ـ ولو من أجهل الناس ، وأبلدهم ـ ما تقول فيمن عصى الرسول ﷺ ولم ينقد له ، في ترك عبادة غير الله ، والشرك به ، مع أنه يدعي أنه مسلم متبع ، إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول : بأن هذا كافر ، من غير نظر في الأدلة ، أو سؤال أحد من العلماء ، ولكن أنت لا تقول به ، ولا يقول به من أعمى الله بصيرته ، وتحير في ظلمة الجهل ، والطبع والهوى ، وإنما تقول : من قال به ، فقد أنكر الشفاعة ، وكفر المسلمين .

لا تعرف الشحم من الورم ، بل تشك في واضحات العلم ، وضروريات الهدى ، فلا يُلفت إليك ، ولا تعدّ إذا عدّ أهل العلم والإيمان ، بل تعدّ مع عبَّاد الأنبياء ، والأولياء ، ومع الهمج الرعاع ، الذين لم يستضيئوا بنور العلم ، أقرب شبهاً بالأنعام السارحة .

قال الجزائري :

وقد جاء عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما : أنه قال ﷺ « أعطيت خمساً ، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي ، أدركته الصلاة ، فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

ساق هذا المعترض ، هذا الحديث الجليل ، لأجل قوله ﷺ : « وأعطيت الشفاعة » مستدلاً به ، على أن النبي ﷺ يُدعى ، ويُرجى ، وتطلب منه الشفاعة بعد موته ﷺ ، وأن من منع طلبها منه بعد موته ، فقد أخطأ ، وكفر ، وكفّر الأمة ، ولو استدل بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

والجواب ، أن يقال :

سبحان من طبع على قلبه ، حتى انعكس عليه الأمر ، وصار لا يفهم من النصوص القرآنية ، والألفاظ النبوية ، إلا خلاف ما دلت عليه ؛ أو يقصد الإلحاد فيها ؛ وكونه ﷺ أعطي الشفاعة ، فالله سبحانه أكرمه بها ، وهي ملك لله ، بإجماع المسلمين ، وهو ﷺ عبد مملوك لله ، مأمور ، لا يشفع إلا بعد إذن الله له ، فيمن شاء أن يشفعه فيهم فقط ، لا يدل على أنها ملك له ﷺ فيكون شريكاً لله في إلٓهيته ، يقصد للشفاعة ، ويدعى لها ، وتطلب منه بعد موته ﷺ .

فإن أصل الشرك : هو دعاء الأمـوات، والاستغاثة بهم ، وطلبُهم الشفاعة ، الذي أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب بالنهي عنه ، وتكفير فاعله ، ومن دعا غير الله ، وأشرك به ، وتعلق على الأنبياء والصالحين ، وجعلهم منتهى طلبه ، وغايـة مقصده ، وسوى بينهم ، وبين الله في خالص حقه ، ليس داخلاً في الحديث ، ولا مراداً به ، ولا تناله شفاعته ﷺ، وإنما تنال أهل الإخلاص ، بإذن الله ، كما قال ﷺ لأبي هريرة ، لما سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ».

ومن قال بعد وفاته ﷺ يا رسول الله اشفع لي ، أو أسألك الشفاعة ، لم يقل لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه ، بل قد جعل رسول الله ﷺ إلهاً آخر مع الله ، وكفر بالله ؛ قال الله تعالى : **﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾**.

والشفاعة : قد صحت أحاديثها وتواترت ، ولكنها لا تدل على ما ذهب إليه هذا المعترض ، المبهرج ، المموه ، المحرف لأحاديث رسول الله ﷺ، الملحد في معانيها ، المبدل لدين الله ، الداعي إلى دعاء غير الله ، السالك سبيل سلفه ، من أهل الكتاب ، والمشركين .

فإنهم يتعلقون على أندادهم ، ويدعونهم مع الله ، لأجل

الجاه والشفاعة ، وأنهم أعطوا الشفاعة ، فهم يطلبونها منهم ، كما حكى الله ذلك عنهم بقوله : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ .

وقد أبطل الله سبحانه هذه الشفاعة ، في كتابه ، وأسجل : أن الشفاعة ملكه ، وأنها لا تكون إلا لأهل التوحيد ، قال تعالى : ﴿ **أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولوا كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ وقال :﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ أي : أنه لا إله إلا الله .

وفي الصحيح : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه » فدعاء الله وحده ، وإسلام الوجه له ، هو السبب الأعظم في نيل الشفاعة ، ولو كان المشفوع فيه متلوثاً بالذنوب ، فإن حسنة التوحيد ، لا يقاومها ما دون الشرك من السيئات ، وسيئة الشرك ، لا يبقى معها شيء من الحسنات .

وإيراده هذا الحديث : إيهام أننا ننكر الشفاعة ، لما نهينا عن عبادة غير الله عز وجل ، فاستدل به على كفرنا ، سفسطة ،

وبهتاً ، وكذباً بحتاً ، وتعمية ، ومغالطة ، وتمويهاً ، وصرفاً للناس عن توحيد الله ، الذي أوجبه على عباده ؛ ودعاية واضحة إلى عبادة غير الله ؛ وليأت بدليل شرعي : أن الشفاعة تطلب من النبي ﷺ أو غيره من الأموات ، والغائبين ، إن كان من أهل التحقيق والعرفان ، أو يدعو إلى الحق .

وليدع التلبيس ، والروغان ، والمعاكسة ، والمشاقة لله ولرسوله ، واتباعَ غير سبيل المؤمنين ، وركوب طريق سلفه ، ممن يكفر بالرحمٰن ، ويكفّر بمحض الإيمان ، وينكر التوحيد ، ويكفر من اتبعه ، وعد نفسه من العلماء الداعين إلى الحق وهو : لم يبلغ شرك المشركين شركه ، فالله المستعان .

قال الجزائري :

وفي الحديث الصحيح : أن رجلاً ضريراً ، أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء ، اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد ، نبي الرحمة ؛ يا محمد : إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ، لتقضي لي ، اللهم شفعه فيّ ، فقام وقد أبصر .

والجواب أن يقال :

عماية عين الهوى عن الهدى ، هي التي أوقعتك في مهالك العطب والردى ، فأوجبت لك الاستدلال ، على جواز عبادة غير الله ، بهذا الحديث ؛ أتظن أن رسول الله ﷺ يأمر أمته بالشرك ؟! وقد أرسل بالنهي عنه ؟! وتجريد التوحيد لله ، والنهي عن دعوة غير الله ، وصرف صدر البعثة في الدعوة إلى ذلك ؛ وقد قال ، فيما ثبت عنه في الصحيح : «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» وقال لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا اسعنت فاستعن بالله» .

كيف يجتمع في قلبك أن الله بعثه يأمر بالتوحيد ، ويحذر من الشرك ، والتنديد ، ويخبره الله أنه ما أرسل من قبله من رسول ، إلا يوحي إليه ، أنه لا إله إلا هو ، ثم يأمر أمته بعين ما حذرهم منه ، هذا من أبطل الباطل ، وأمحل المحال ؛ ومن زعم هذا الزعم ، فقد ضاع عقله ، وانتكس قلبه ، وخالف إجماع المسلمين . وحاد الله ورسوله ، ومرق من الدين ، وخالف العقل ، والفطر ، حيث زعم أن الرسول ﷺ أمر أمته بالشرك ، الذي بعثه الله ينهى عنه ، ويحذر منه .

يا ويحك : أتظن أن سنة رسول الله ﷺ تتناقض ؟ وأنها لا توافق القرآن ، أو تناقضه ؟ حيث زعمت : أن رسول الله ﷺ أمره أن يسأله في حال غيبته ، لا شك هذا محادة لله ورسوله ، واتباع للمتشابه .

ومن المعلوم بالضرورة : أن أدلة القرآن في النهي عن دعاء غير الله ، متظاهرة ، مع وضوحها وبيانها ، والأحاديث الصحيحة ، الدالة على تحقيق التوحيد ، وإبطال الشرك ، وسد ذرائعه ، متواترة ، ليلها كنهارها .

ولا يكون هذا منك إلا زيغاً بلا مشاحة فيه ، لقوله تعالى : ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ وفي الصحيح عن عائشة : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » بل إذا علم أن هذا شرك ، ثم زعم أن الرسول ﷺ : أمر أمته به ، كان كافراً ، معانداً ، جاحداً لما يعلم من شرع رسول الله ﷺ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾ وحاشا جنابه ﷺ أن يأمر أمته بالشرك .

ومن عظيم جرأة هذا المعترض : نسبة هذا الحديث إلى الصحة ، بهذا اللفظ ، ليرد به المحكم من الكتاب ، والسنة ؛ وتصحيحه : مردود عليه ؛ وحَدُّ الحديث الصحيح : ما رواه العدل الضابط ، عن مثله ، من غير شذوذ ولا علة ؛ وهذا الحديث ، إنما رواه : النسائي والترمذي ، وغيرهما ، عن عثمان بن حنيف :

أن رجلاً أعمى ، أتى النبي ﷺ فقال له : يا نبي الله ، قد أصبت في بصري ، فادع الله لي ، فقال له النبي ﷺ « توضأ وصلي ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أتوجه إليك بنبيي محمد ، نبي الرحمة ، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ، لتقضي ، اللهم فشفعه فيّ » .

وهـذا الحديث : غيـر محفوظ ، وفيـه مقـال مشهـور ، واضطراب ، ففي سنده : عيسى بن عيسى ، بن ماهان الرازي التميمي ، تكلم فيه الحفاظ ؛ قال الحافظ بن حجر : الأكثرون على ضعفه ؛ وقال أحمد والنسائي : ليس بالقوي ؛ وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير ، عن المشاهير ؛ وقال أبو زرعة : يهم كثيراً .

وما زاده هذا المعترض ، أعني قوله : يا محمد ، التي هي غاية ما يتعلق به كل مبطل ، ليست في سياق هؤلاء الأئمة ؛ بل هي ساقطة في الأصول المحررة ؛ وأيضاً : فإن الحديث إذا شذ عن قواعد الشرع ، لا يعمل به ، وهذا الحديث : لا يجوز الاحتجاج به على تأويل هذا المعترض لمخالفته قواعد الشرع وأصوله .

ولا ريب أن من احتج به على جواز دعاء النبي ﷺ ، أو غيره ، والاستغاثة به ، فقد خالف نصوص الكتاب والسنـة ؛ مع أنه على تقدير صحته ، يوافق ذلك ، ولا يخالفه ، وليس فيه ما يوهم جواز

دعاء النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه بعد موته ، كما زعمه المعترض ، ولا ما يدل على غيبته ﷺ وإنما هو توسل بدعائه ﷺ كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ؛ ويسألونه الاستغفار ، والدعاء .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول** ﴾ وقال : ﴿ **وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ والنبي ﷺ علمه دعاء ، أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه ﷺ فيه ، ليرد الله عليه بصره ؛ وهذا يدل على أن النبي ﷺ شفع فيه ، إذ شفاعته لا تكون إلا بالدعاء لربه قطعاً ، وهكذا كان هديه ﷺ ، وهدي أصحابه معه في حياته ﷺ ، كما قال عمر رضي الله عنه : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا .

وكما توسل معاوية بيزيد الجرشي ، وقال : ارفع يديك ؛ ومعناه: نتوسل إليك بدعائه، وشفاعته، وسؤاله؛ وكذلك: نتوسل إليك بعم نبينا، بدعائه، وشفاعته، وليس المراد: أنا نقسم عليك به، أو ما يجري، هذا المجرى، ولا يدل على جواز سؤاله بعد موته ﷺ، ولو كان جائزاً، لما عدل الصحابة إلى عمه، مع علمهم أن السؤال به ﷺ أعظم من العباس، وكذا التابعون لهم بإحسان، وهم أعلم بهديه، وأرغب الناس في سنته، وأحبه إليهم؛ بل نهوا عن استقبال القبر حال الدعاء، فيكف بدعائه نفسه ﷺ .

فعلم : أن التوسل الذي ذكره عمر ، ومعاوية ، هو ما يفعل بالأحياء ، دون الأموات ، بحيث يدعون ، ويدعون معهم ، فيكونون وسيلتهم إلى الله ؛ وهذا : هو ما يذكره الفقهاء ، من استحباب التوسل بالصالحين ؛ فإن الحي يطلب منه ذلك ، والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره ؛ فبطل تمويه هذا المعترض ، المحرف لكلام الله ورسوله ؛ وبطلان احتجاجه بهذا الحديث - على جواز عبادة غير الله - ظاهر بالكتاب والسنة ، والإجماع ، والعقل ، والفطر ، والنظر ، والاستقراء ، مما لا نطيل باستقصائه .

قال الجزائري :

أما استدلالك بالآيات القرآنية ، التي نزلت في المشركين ، وقد حملتها على الموحدين ، مثل قوله تعالى : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ فتعجبت منك غاية العجب ، من افترائك على تفسير كلام الله عز وجل ، على حسب هوائك ، وتكفيرك للأمة المحمدية ، بغير حق ، قال عليه السلام : « من قال في القرآن برأيه ، فليبتوأ مقعده من النار » .

والجواب :

إن هذه الشبهة : أعظم مكائد الشيطان ، التي كـاد بها أولياءه ، ليخرجهم من النور إلى الظلمات ، ويصرف قلوبهم عن قبول الحجة ، والبرهان ؛ فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون ، وأنكروا شمول رسالة محمد ﷺ، وكفروا بقوله : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ وبقوله : ﴿ **ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **فمن أظلم ممن كذَّب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** ﴾ .

وأعظم تكذيب وصدف ، وتعطيل للقرآن ، وإلحادٍ فيه ، وهجر له ، وعزلٍ عن الاستدلال به ، في موارد النزاع : منع تنزيل القرآن ، وما دل عليه من الأحكام ، على الأشخاص ، والحوادث ، التي تدخل تحت العموم اللفظي ؛ وأي دليل ، أصرح ، وأوضح ، وأبين من هذه الآية ، وأمثالها ، في شرك من عبد مع الله غيره؟ وأضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الإسلام ، قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، من منع الاستدلال ، ببعض الآيات فيما نزلت فيه ، وأخصه : الشرك الظاهر ، والكفر البواح .

وأي مانع من تكفير من قام الدليل على كفره ؟! في كل وقت وزمان ، وقد تقرر : أن العبرة بعمـوم اللفظ ، لا بخصوص السبب ؛ ولو خصصت الآيات بما نزلت فيه ، لبطل معظم أحكام

الإسلام ، فكيف . وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ أي : إن فعلت الذي دعوك إليه ؛ وخطابه بهذا مع كونه منزهاً عنه ، معصوماً ، لحث العباد على التوحيد ، ونهيهم عن شوائب الشرك ؛ وكأنه قال : أنت أكرم الخلق عليّ ، وأعزهم عندي ، ولو اتخذت معي إلهاً لأعذبنك ، فكيف بغيرك من العباد ؟ .

وقال تعالى : ﴿ **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ وغيرها من نصوص الكتاب والسنة ، التي هي موجب رسالة محمد ﷺ ، ولا شك أنها تناول عموم الخلق ، بالعموم اللفظي ، والمعنوي ؛ أو بالعموم المعنوي ، وعهود الله في كتابه ، وسنة رسوله : تناول آخر هذه الأمة ، كما تناول أولها ، لا ينكر ذلك ، إلا من لا يؤمن بالله ، وآياته ، ورسوله .

وليس من الجائز ، في عقل من له أدنى مسكة من عقل ، أن يقول : هذه الآيات نزلت في شأن فلان ، فيقصد حكم الخطاب العام ، على من نزل بسببه ، وإذا كان لا يمكن أحداً أن يقول ذلك ، فهي أيضاً : لا تختص بأوائل هذه الأمة ، دون أواخرها ؛ لأن خطاب القرآن ، والسنة يتعلق بكل فرد ، من الأولين ، والآخرين ، من هذه الأمة ، بلا نزاع بين المسلمين ؛ وهو لازم ما

استدل به ، لأن الله ختم الأنبياء بمحمد ﷺ، وعلى شريعته ، وأمته تقوم الساعة ، وسياق الحجج من الكتاب والسنة ، وكلام الأئمة ، لا تتسع له هذه الورقات ، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر أن محمداً ﷺ خاتم النبيين .

وفي ضمن قول هذا المعترض ، من رد الكتاب والسنة ، وتسفيه جميع الأمة الإسلامية ، واستجهال علمائها ، الذين لم يزالوا يكفرون ، بكثير من الأحداث ، والمكفرات ، ما يعرفه أبلد الناس ؛ وهذا المعترض : إلى أن يعالج عقله ، أحوج منه إلى تلاوة الآيات ، والأحاديث عليه ، وحكاية الإجماع ، وعمل الأمة الإسلامية ، طبقة طبقة ، وقرناً قرناً .

عجباً منك كل العجب ! بلغ بك الجهل والهوى ، إلى الصد عن سبيل الله ودينه ، وتكذيب الله ورسوله ﷺ وما جاء به ، ومعارضة أهل العلم ، ورد ما استدلوا به من الآيات المحكمات ، فيما نزلت فيه من الشرك بالله ، والكفر به !! ويحك ما أنت ومعرفة الإسلام والكفر ، والتوحيد والشرك ؛ والآيات وما نزلت فيه ، وما أنت والخوض في تلك المقاصد والغايات ، ولتكفك الدعوة إلى عبادة غير الله ، والذب عمن أشرك به ، والفرح بذلك .

ويكفي في جهلك وضلالك ، قولك إن الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ على قصر العبادة على الله افتراء ، وتكفير للأمة المحمدية ، وهو الحق الذي لا يمتري فيه

من شم رائحة الدين ، فإن (أحداً) نكرة في عموم نفي الشرك في عبادة الله تعالى ، نبياً كان ، أو ولياً ، أو حجراً ، أو جنياً ، والمخاطب بهذه الآية ، وأمثالها النبي ﷺ وأمته ، إلى يوم القيامة ، بالإجماع ، يا خاسف القلب .

وذكر البيضاوي : أن عموم النكرة في سياق النفي ، مجمع عليه عند البيانيين ، و الأصوليين ؛ وعليه جميع الفقهاء والمفسرين ، ومعارضتك ، وردك ما أوردناه ، من الآيات المحكمات ، على كفر من عبد مع الله غيره ، هي : الافتراء ، والكذب على الله ، والكفر بآياته ، والقول عليه ، وفي كتابه ، بغير الحق ؛ والضلال والعمى ، عن معرفة كتاب الله ، وما يراد من الآية والمقالة .

ولو كان لك عقل تميز به ، وعلم تدري به ، ما كان عليه رسول الله ﷺ، من تكفير من جعل مع الله إلهاً آخر ، واتخذ الأنداد ، والشركاء ، وسوى بينهم ، وبين الله تعالى وتقدس ، في الحب ، والتعظيم ، والدعاء ، والتوكل ، وغير ذلك من خصائص رب العالمين ؛ لما تعجبت من إيراد كلام الله على موارده ، ولم تجادل في آيات الله بغير سلطان .

ولو فهمت عن الله خطابه ، وهديت إلى معرفة مراده ، وصدقت في دعواك ، أن ردك نصرة للحق ، لعلمت أن قوله

تعالى : ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ أدل دليل ، على أن عبادة الأنبياء ، وغيرهم شرك بالله ، ومن أشركهم مع الله في عبادته ، فليس من أمة محمد ﷺ الموحدين ، المستجيبين لله ولرسوله ﷺ .

ومن منع من تكفير من أشرك بالله ، وعدل به سواه ، وسوى بينه وبين خلقه ، ورد ما جاء في ذلك ، من الكتاب والسنة ، وقال على الله وعلى رسوله بغير علم ، لزم أن يحكم عليه بحكم الكتاب والسنة ، من الكفر والشرك ، شاء أم أبى ؛ ومن لم يكفر من أشرك بالله ، وسوى بينه وبين خلقه ، فهو كافر بإجماع المسلمين .

وكل شرك في العالم : إنما حدث برأي جنسكم ، فأنتم الآمرون بالشرك ، والفاعلون له ، والداعون إليه ؛ ومن لم يأمر منكم بالشرك ، لم ينه عنه ، ولم يكفر من فعله ، وضارعتم من اخترع الشرك ، وابتدع في دين الله الأصول الخبيثة ، التي مقتضاها : العدل برب العالمين ، وتسوية غيره به ، ومعاداة أوليائه وحزبه ، ونسبتهم إلى ما لا يليق بهم ، وهذا هو حقيقة الخبث ، والرجس ، والفساد ، قال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ .

وقوله : وتكفيرك الأمة المحمدية بغير حق :

يعني : تعجبت من تكفيرنا من عبد مع الله غيره ، هذا حقيقته ، وجعلهم من الأمة المستجيبة الموحدة تمويهاً، وزوراً يلفقه ، ويردده ، ليصد عن سبيل الله بغير حق ، ويلبس على الجهال ، ولو كان له عقل يميز به ، وعلم يدري به ، ما كان عليه رسول الله ﷺ، من تكفير من عبد مع الله غيره ، وأنه يجادل عن مشركي العرب ، وأمثالهم ، ممن جعلوا مع الله إلهاً آخـر، لم يبد هذه الفضيحة .

ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، لم نكفر الأمة المحمدية المستجيبة لله ورسوله ، وإنما حملنا الآيات على مدلولهـا ، ومقتضاها ، بكفر من يدعو غير الله ، ويشرك به ، وكفرناه بما كفره الله به ورسوله ، طاعـة لله ورسوله ، واتباعاً لما أمر الله به ورسوله ، وأجمع عليه أهل العلم ؛ ومن لم يكفر المشركين ، أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، كفر .

وويحه ! أين تكفيرنا للأمة المحمدية المستجيبة ؟! ولكن حاصل مذهبه : أن الأمة المحمدية الموحدة ، هم عباد القبور ، والأنبياء ، والصالحين ، الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، ويسألونهم قضاء حاجاتهم ، وتفريج كرباتهم ، ويفزعون إليهـم ، في الشدائد والمهمات ، الذين نزل القرآن ، بتكفير أضرابهـم ، وبعث الرسول ﷺ بقتالهم، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً .

ولا شك ، هؤلاء عنده ، هم الأمة المحمدية ، الذين هم خير أمة أخرجت للناس ، وهم الموحدون كما زعم ، ويل له ، ثم ويل له ، وويل لمن نصر هذا الشرك ، وأثنى على أهله ، وجادل عنهم ، وضلل من أنكر عليهم ، وكفرهم ، كما فعل هذا الضال المفتري ، الذي أتى بأبين الباطل ، وأمحل المحال ، وأضل الضلال ، وذلك : لعدم معرفة ما جاء به الكتاب العزيز ، وما بلغه رسول الله ﷺ .

وكل قول يقوله هـذا المعترض ، وغيـره ، فهو مـطالب بالدليل ، من الكتاب ، أو السنة ، أو الإجماع ، فإن أقام دليلاً ، وإلا فقوله مردود عليه ؛ وأين عن الله ، أو عن رسوله ﷺ، أو عن السلف ، جواز عبادة القبور ، والأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ، ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، وندائهم بالحوائج ، والنذر لهم ، وطلبهم الشفاعة ، وغير ذلك ، من صرف ، أي نوع من أنواع العبادة لهم ، دون الله عز وجل ، أوجدنا حرفاً واحداً يحقق ما زعمت ، أو يدل عليه ، فإن لم تفعل ، ولن تفعل ، فأنت المفتري الكاذب على الله ، وعلى رسوله ﷺ .

بل النصوص ظاهرة مشتهرة ، في المنع من ذلك ، والتغليظ فيه ، وتكفير فاعله ؛ بل النص الصريح ، والعقل الصحيح ، يمنع من أن يكون الميت يسمع ، وينفع ، ويضر ؛ كما قال تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ الآيـة ،

وغيرها ، مما تقدم ؛ ولكن جمعت بين الجهل بالحقائق ، والمغالطة عند المحاجة ، والمنازعة .

وقد تقدم : أن من المعلوم ، بالضرورة، من دين الإسلام ، والكتاب والسنة ، وإجماع الأمة : أن الله لم يشرع لأمته ، أن يدعوا أحداً من الأموات ، لا الأنبياء ، ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ، ولا غيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ، ولا إلى ميت ، بل نهى عن ذلك ، وأخبر أنه من الشرك الأكبر ، الذي يوجب لصاحبه الخلود في النار ، ونصب على ذلك من النصوص ، والبراهين الشرعية ، والعقلية ، والفطرية ، ما يقنع العاقل المنصف ، والمؤمن الصادق ، الذي يخاف مقام ربه .

ومن أضل الضلال : أن سوَّد هذا الضال المفتري ، صحائفه ، بأقلامه الأثيمة ، دعاية منكرة ، بشعة ، شنيعة ، على عقائد الإسلام ، ونصب نفسه للحض على عبادة الأصنام **﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾** .

قال الجزائري :

وإن جماعتكم الوهابية ، قد اقترفوا الكذب ، وركبوا الشطط ، وغفلوا ، وتغافلوا عما جاء في الذكر الحكيم ، بقوله تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب إليم** ﴾ وجهلوا ، أو تجاهلوا عن : أن الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، وأن الشارع ﷺ لم يحرم شيئاً ، إلا بوحي من الله ، القائل : ﴿ **لتحكم بين الناس ، بما أراك الله** ﴾ ولم يقل بما رأيت يا محمد ، ولو كان الدين بالرأي ، لكان رسول الله ﷺ لا يحتاج إلى وحي .

والجواب أن يقال :

ما رمى به أهل هذه الدعوة الإسلامية ، ومجددي الطريقة السلفية ، فالحكم بينه وبينهم في الآخرة ، إلى الله الذي إليه تصير الأمور ، وسيحكم بعدله بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وشاهد الحال ، ومصنفاتهم ، ودعوتهم ، وما أوردوه من البراهين ، وما شهد به علماءُ الأمصار ، والعقلاء ، هو الشاهد المصدق ؛ وافتراؤه ، وشططه ، وهمطه ، وخلطه ، وضلاله الواضح ، وفجوره البين ، يعرفه كل منصف .

ومن وقف على كلامهم ، وكلامه ؛ ودعوتهم ودعوته ؛ عرف أنهم على الصراط المستقيم ، الواضح القويم ؛ وأنه على ضلال

وخيم ، وعلى طريقة أهل الشرك ، ومن أكبر الدعاة إليه ؛ ومن عرف ما قاله أهل الشرك ، في الرسل ؛ والرافضةُ وغيرُهم في السابقين ؛ لم يستغرب ما يجري من دعاة الشرك ، أهل المعاندة والفجور ، المعروفين بالقحة والزور .

وقولته الكاذبة الضالة ، تشعر ببراءته مما دعوا إليه ، من إفراد الله بالعبادة ، والبراءة من كل معبود سواه ؛ بل هي ظاهر ما نَمَّقَهُ ، وزوَّقَهُ ، فقد قصر به الجهل ، والغباوة المفرطة ، عن إدراك الحقائق ، وانحسرت بـه الشقاوة في مهامه الغي ، فلم يلحق بأهل الملة الحنيفية، وتجارى به الجهل، والهوى، والغلو، والإفراط ، حتى أوغل في الشرك ، ونهى عن تجريد التوحيد ، وحتى أظهر مشابهته للمنافقين ، في كراهة أهل الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، وعداوته لهم ، وموالاته لأهـل الشرك والإلحـاد ، والذب عنهم ، وتحسين الشـرك ، والإعراض عما بعث الله بـه رسوله ﷺ، وتحريف الكلم عن مواضعه ؛ وحتى برز في عداوة الله ، لشدة تعمقه في باطله ، وعداوته ، لأهل التوحيد ، اتباع الرسل .

ومن عادى أتباع الرسل ، فقد عاداهم ، ومن عاداهم ، فقد عادى الله ، ومن كان عدو الله ، فإن الله عدو للكافرين ؛ وسيأتي طرف من ذكر عقائدهم ، في رد قدحه فيهم ، المتضمن لإنكار ما دعوا إليه ، من توحيد الله ، وطاعته ، مما به يعلم المنصف ، أنه

لا ينكر هذه الدعوة ، إلا من عميت بصيرته ، وضل فهمه ، وتغيرت فطرته ، وضاع عقله ؛ وحالتهم : ظهرت ، واشتهرت ، وشهد لها الخاص ، والعام ، بالقبول .

ومجرد حكاية ما قاله : كاف في الرد عليه ، لا يحتاج إلى برهان ، بل هو أوضح برهان ، أنه ليس من جملة المسلمين ، فضلاً عن أهل العلم ، والدين ، واليقين .

ومن عادة أهل الجهل ، والنفاق : نسبة أهل العلم والإيمان ، إلى الكذب ، والجهل ؛ كما قال الله عنهم : ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** ﴾ و قال فرعون : ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين** ﴾ سنة معروفة لأهل الكفر ، يستجهلون أهل الإيمان ، ويزدرونهم ، ويرمونهم بالسفه ، وعدم العلم .

وقد ألبس الله هذا المعترض ، ثوب الجهل المركب ، وثوب التعصب، وعرف بذلك، وانتزعت منه سمة أهل الإيمان، واندرج في سلك أهل الضلال والطغيان، نسأل الله العفو والعافية، والثبات على دينه؛ وباب الدعوى، والقول بلا برهان، أوسع مما بين المشرق والمغرب، يمكن كل مبطل، أن يقول في خصمه ما شاء، إن لم يمنعه مانع، أو يزعه وازع، من سنة، أو قرآن، أو رهبة، أو سلطان، وإذا خلا الرجل من ذلك، وخلع ربقة الحياء والدين، فليصنع ما شاء.

وقد علم أهل العلم والإيمان ، بل الموافق والمخالف ، ما عليه أهل هذه الدعوة الإسلامية ، من الدين المتين، وتجديد ما اندرس ، من أصول الملة ، وقواعد الدين ، والأمر بالتوحيد ، والنهي عن الشرك ، والتنديد ، وعن معصية الله ورسوله ، والتصريح : بأن من عرف الإسلام ، ودان به ، فهو المسلم، في أي زمان ومكان ؛ قرروا ذلك ، بالأدلة القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ونصوص الأئمة ، وإجماع الأمة ؛ ويشهدون الله كثيراً ، في محافلهم ، ورسائلهم ، كما سيأتي ؛ بل في مصنفاتهم المشهورة ، السائرة في البلدان والأمصار ، ويشهدون أولي العلم من خلقه .

ونحن نشهد الله وملائكته ، وأولي العلم من خلقه : أن من عمل بالتوحيد ، وتبرأ من الشرك وأهله ، فهو المسلم ، في أي زمان ومكان ؛ وإنما نكفر من أشرك بالله ، في إلهيته ، أو ربوبيته ، أو جحد شيئاً من صفاته ، من بعد ما تبين له الحجة ، على بطلان الشرك ، وكذلك : نكفر من حسنه للناس ، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته ، وذلك بالكتاب والسنة ، والإجماع .

وعللوا ، ومثلوا ، وناضلوا ، وجادلوا بالبراهين والحجج ، حتى ظهرت الحجة ، واستبانت المحجة ، بعد أن كان غالب الناس قروناً ، في لجة من الجهل بالتوحيد ، أيّ لجة ؛ فاستجاب من أراد الله هدايته ، وسبقت له السعادة ؛ وصد عنه آخرون ، كهذا المعترض ، وعارضوا بشبهات ، ترجع إلى شبهات

إخوانهم : ﴿ **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم** ﴾ أي : قال الذين كفروا من قبل ، وجادلوا ، كجدالهم ، بالباطل ، ليدحضوا به الحق .

وهذا معروف بحمد الله ، فإنما يرميهم بهذا البهت ، وينسب إليهم ، من جعل زوره ، وقدحه في أهل العلم ، والإيمان - الداعين إلى الصراط المستقيم - جسراً يتوصل به ، ويعبر ، إلى ما انطوى عليه ، وزينه له الشيطان ، من عبادة غير الله ، من الأنبياء والصالحين ، وغيرهم ، والتوسل بهم ، والرغبة إليهم ، عن رب العالمين ؛ وعدم الدخول تحت أوامر الكتاب والسنة ، وما عليه السلف والأئمة ؛ وترك القبول منهم ؛ والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال ، واعتادوه من العقائد الباطلة ، والمذاهب الجائرة .

ولا عبرة بقدحه ، وأمثاله ، كما أنه لا عبرة بقدح من كذب الرسل ، وسفههم ؛ ومشابهة أقواله ، بأقوال أسلافه ، كافية في رد أباطيله ؛ ولأهل العلم من النقد والتمييز ، ما يكفي عن بيان جهله وأباطيله ، والإطالة في ذلك ، وتبيينه ، وفي الحديث : « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله » وقد قال الله عن قوم هود لما قال لهم : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ ، ﴿ **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده** ﴾ وغير ذلك ، مما حكى الله عن الأمم المكذبة .

وإذا رمى هذا المعترض ، المفتري ، هؤلاء الهداة ، المهتدين ، بالكذب ، والكفر ، والقول على الله بغير علم ؛ وهو

الأحق به ، والأليق بقولته الخاطئة ، فمن ذا الذي يشهد له هو ، بعلم ، أو عمل ، أو إسلام ، وكلامه لا يدل على شيء من ذلك ، بل على ضده ؛ وأي أحد من الأمة ، أهل الفطنة والدين ، فضلاً عن أهل العلم واليقين ، يرضى حكمه ، في حزمة بقل ، أو شراك نعل .

والمعروف عنه في هذه الرسالة ، من الجهل المركب ، والكذب ، والكفر ، والإلحاد ، والرد على الله ، وعلى رسوله ، والمخالفة لإجماع المسلمين ، ما يتنزه عنه آحاد العامة ؛ بل قد لا يرضى الكافر نسبته إليه ؛ ومغزاه في هذا القدح : ليتوصل ، إلى إخراج المشركين ، عباد الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ، من التكفير ، الذي أجمع عليه كافة المسلمين .

وأما المسلمون: فلم يكفرهم أحد، من أهل الإسلام الصرف، الذي لم يشب ببدع، لا من أهل نجد، ولا من غيرهم، حتى أن المخالف في أصل الملة، كاليهودي، والنصراني، والمجوسي، لا يكفر المسلمين؛ بل غايته: أن يعتقد أنهم على حق، وأنهم اخطأوا في إنكار دينه، وتكفيره؛ وأما هذا المعترض، الضال: فقد اعتدى، وافترى على الله الكذب، وسيجزي الله المفترين.

قال الجزائري :

وأن ليس في طاقة عالم ، من علماء المسلمين ، الإفتاء بشرك رجل ، يقول : آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشــره من الله ، والبعث بعد الموت .

والجواب :

قال الله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ فدلت هذه الآيات الشريفات : أنه ليس كل من قال آمنا بالله وباليوم الآخر صادقاً ، وإنما الصادق : من قال الله فيهم : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ الآية ، فليس الإيمان مجرد القول فقط ؛ بل لا بد من الاعتقاد ، والعمل إجماعاً .

ومعنى الإيمان بالله : أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده ، دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الإخلاص ، وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك ، وتعاديهم ، ولا يصير الإنسان مؤمناً ، إلا بالكفر بالطاغوت ، فإن الإيمان بالله : يقتضي الكفر بالطاغوت ؛ وكل ما عبد من دون الله ، فهو طاغوت ، قال تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعـروة الوثقى** ﴾

والعروة الوثقى هي : شهادة أن لا إله إلا الله .

وأما كون مجرد القول يكفي في الإيمـان ، مع التلبس بالمنافي ، والمعارض ، ـ كما توهمه هذا المعترض ـ فهذا ليس من الدين ، ولا من قول عن المسلمين ؛ بل هو : من أقوال أهل الجهـل والضلال ، المخـالفين للكتاب والسنـة ، ومن دينهم الباطل ، كالكرامية وأضرابهم .

ولا ينازع مسلم : أنه لا بد أن يكون الإيمان بالقلب ، فإن لم يصدق ، ويعمل ، ويؤثر ما دلت عليه تلك الأصول ، ويعمل بقلبه، العمل الخالص، كالمحبة والإنابة، والرضا والتوكـل، والخشية، والرغبة، والرهبة؛ فهو منافق، من أهل الدرك الأسفل من النار؛ وكذلك العمل بالجوارح، لا بد منه، فلا يكون مؤمناً إلاّ إذا ترك عبادة الطاغوت، وعمل بمقتضى تلك الأصول، فإذا زال أحد هذه الثلاثة : القول ، والاعتقاد ، والعمل ، زال الإيمان . كمـا دل على [ذلك] حديث جبرائيل عليه السلام وغيره.

فإذا كان معنى الإيمان بالله متضمناً، أن الله هو الإله المعبود وحده ، وأجزت دعاء غير الله ، نبياً كان ، أو غيره ، هدمت أصلك كما هدمت أصل الإسلام ، ومع عدم أصل الإسلام ، والإيمان ، وانهدامه لا يعتد بما أتى به من شعبهما .

ومن الإيمان بالرسل : معرفة مراد الله في إرسالهم ، وطاعتهم

فيما أمروا به ، واجتناب ما نهوا عنه ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع على ألسنتهم .

وزبدة رسالتهم، ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾، ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ وفي الصحيحين : « حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ؛ وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

وقد أخبر هذا المعترض ، عن نفسه في كلامه : بعدم الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، كما لا يخفى على ذوي البصائر ، فإن الإيمان بذلك ، بصدق ويقين ، يقتضي إفراد الله بالعبادة ، وامتثال أمر الله ورسولـه، واتباعه ، وتعظيمه ، ولزوم سنته ؛ وهو كما ترى : يدعو إلى عبادة غير الله ، ويكذب الله ورسوله ، ويكفر المسلمين .

ونسأل هذا المعترض ، عمن قال : آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره ، والبعث بعد الموت ، ويشهد الشهادتين ، ثم صدر منه ما يوجب الكفر بالله ، والردة عن الإسلام ، من عبادة صنم ، أو ولي ، أو نبي ، أو ملك ، أو جني ؛ أو غير ذلك ؛ أو أنكر ركناً من أركان الإسلام ،

أو حرفاً من القرآن ، أو أنكر تحريم الخمر ، أو تحريم امرأة من محارمه ، المذكورة في سورة النساء ، أو فرعاً مجمعاً عليه ، أو شك في كذب مسيلمة ، ونحو ذلك ، هل يكفر ؟ .

فإن قال : تلفظه بأركان الإيمان ، والشهادتين ، عصمه من الكفر ، وحرم دمه وما له ، وإن فعل ذلك ؛ فقد خصم ، وانهزم ، وجهّل الأمة ، وفسّق الصحابة والأئمة ، بل وكفرهم ، على أصول مذهبه ، كما كفرنا ، وأضحك العقلاء من جهله ، وخرق الإجماع ، وشاق الله ورسوله ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وخالف مقتضى دليله الذي أورده ، في كفر منكر الشفاعة ، وناقضه ، وتناقض .

وإن اعترف بكفره : بطل احتجاجه ، وفسد تأصيله ، واستبان أنه من أكابر الدجالين الضالين ، ورؤساء الملحدين ، وبلداء المتناقضين المشهورين ، مذ جرى قلمه ، وتفوه فمه ، بالخوض في تلك المسائل التي لا يعرفها إلا رجال آمنوا بالله ، وصدّقوا المرسلين ؛ ألم يأت على قوله تعالى : ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ يوماً ما ؟ وغيرها من الآيات ؛ بل القرآن كله من أوله إلى آخره ، يقرر : أن دين الله الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، هو : إخلاص العبادة بجميع أنواعها ، لله وحده ، دون ما سواه ، والبراءة من الشرك وأهله ، وقتالهم حتى لا تكون فتنة ـ أي : شرك ـ ويكون الدين كله لله .

وفي السنة ما لا يمكن حصره ، مما يستدل به على كفر من جعل الأنبياء والصالحين ، وغيرهم ، آلهة ، يدعوهم ، ويسألهم ، ويزعم أنهم باب حاجته إلى الله ، والواسطة بينه وبين ربه ، في قضاء حاجاته ، وتفريج كرباته ، ومغفرة ذنوبه ، وتكفير سيئاته ؛ وقد اتسع الخرق بذلك،حتى وصلوا إلى دعوى الربوبية في آلهتهم ، وأنهم يعطون ويمنعون ، وأن ذلك على سبيل الكرامة ؛ فألَّهُوهُم ، وعبدوهم عبادة ، ما صدرت من كفار قريش ، ولا ادعاها أحد منهم لوثنه .

فهم وإن كانوا يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، إلخ . . . ، ويشهدون الشهادتين ، وفيهم من يصلي ، ويزكي ، ويأتي بأشياء من العبادات المالية ، والبدنية ، فإنهم من أكابر المشركين ، ورؤساء الضالين ، لأن القول لا ينفع ، إلا مع علم القلب وإيمانه ويقينه ، والأعمال المصدقة لذلك .

وأما مع الاتيان بالمنافي : فإنه أعدل شاهد على كذب ذلك القول ، إذ لو كان القول صدقاً ، لعمل بمدلوله ؛ وما المانع من تكفير من خالف عمله قوله ، وجعل مع الله إلهاً آخر ، وفعل ما فعلت اليهود ، من الصد عن سبيل الله ، والكفر به ، مع معرفته .

والمشرك العادل بربه ، المسوي بينه وبين خلقه ، في عبادته ، لا يتصور بقاء التوحيد ، والإيمان في قلبه ؛ وإن قال

بلسانه ، فهو أكبر لردته ، وقد حكم القرآن بخلوده في النار ، قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ .

قال الجزائري :

وقد قال ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم ، والأربعة : « أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله » .

وجوابنا ما أجاب به خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لما قال له عمر ـ في قتال أهل الردة ـ كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » .

قال أبو بكر : فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً ، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق ؛ فقاتلهم أبو بكر ، وسائر الصحابة رضي الله عنهم ، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ؛ وأين جعل آلهة أخرى ؟ يسوى بها رب العالمين في العبادة ؟ من منع الزكاة ، لو كنت تعقل .

ولكنك لا تفهم معنى لا إله إلاّ الله ، ولا أن محمداً رسول الله ،

ولا قوله إلا بحقها ، وإلا لما ذهبت تحتج علينا ، بما هو أظهر حجة عليك ، فإن كل من عقل عن الله ، علم علماً ضرورياً : أن المقصود من الشهادتين ، ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى ، وما اشتملتا عليه ، من العلم ، والعمل .

وأما مجرد اللفظ ، من غير علم بمعناهما ، ولا اعتقاد لحقيقتهما ، فلا يفيد القائل شيئاً ، ولا يخلصه من شعب الشرك ، بل يكونان حجة عليه؛ وإلّا لما كانت أول دعوة الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده ؛ قال الله تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ وقال : ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ أي : أنه لا إله إلا الله ، فالإيمان بمعناهما ، والانقياد له ، لا يتصور ، ولا يتحقق ، إلّا بعد العلم بما دلتا عليه ؛ وإذا لم يعلم ولم يتصور ، فهو كالهاذي ، والنائم ، وأمثالهما ، ممن لا يعقل ما يقول .

بل لو حصل له العلم ، وفاته الصدق ، لم يكن شاهداً ، بل هو كاذب ، وإن أتى بهما صورة ، قال الله تعالى : ﴿ **إذا جاءك المنافقون ، قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ فكذبهم في قيلهم ، ورد شهادتهم ، وشهد على كذبهم ، وأكد الحكم بإن المؤكدة ، ولام التأكيد ، فهل يقول عاقل : إنهم يشهدون بكلمتي الإخلاص ، ويعترفون بها ؟ .

وهل زَعْمُ هذا المعترض ، إلا رد ظاهر لكتاب الله ؟ فإن

شهادتهم ، وأعمالهم ، لم تنفعهم ، مع قيام المنافي لذلك ، من الجهل ، والشك ، والريب ، الذي صاروا به كفاراً ، في الدرك الأسفل من النار ؛ وهل زعمه الفاسد أيضاً : إلا خروج عن سبيل المؤمنين ؛ فإنهم مجمعون على اعتبار ما دلت عليه الشهادتان من المعنى المراد ، وأنه هو المقصود ، ولم يقل أحد ممن يعتد بقوله : إن الإسلام مجرد اللفظ ، من غير عقيدة القلب ، وعلمه وتصديقه ، ومن غير عمل بمدلول الشهادتين ، إلا أنت وأضرابك ، ممن طبع الله على قلوبهم .

ومن المعلوم : أن شرك المشركين معلق عليه ، لقوله تعالى : **﴿ وقاتلوا المشركين ﴾** ، **﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾** ، **﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾** إلى قوله : **﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾** إلى غير ذلك من الآيات ، الدالة على تعليق الحكم ، على نفس الشرك .

وفي الحديث : « من بدل دينه فاقتلوه » ، « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه » فلم يجعل التلفظ بلا إله إلا الله ، عاصماً للدم والمال ؛ بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده ، حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، وإلا لم يحرم ماله ولا دمه .

وكلام الفقهاء ، في باب حكم المرتد ، في حكم من أشرك بالله ، ومن جعـل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ، إلى آخره ؛ أو جحد ركناً من أركان الإسلام ، أو ما لا يتم الإسلام إلا به ؛ أو ما أجمع على تحريمه ، إجماعاً قطعياً ، كلحم الخنزير ، أشهر من أن يذكر ؛ وقد نص على ذلك من يحكي الإجماع ، كابن المنذر ، وابن عبد البر ، وابن هبيرة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن رجب ، وأمثالهم من أهل العلم .

وهذا المعترض أيضاً :

يقرر أن من أنكر البعث كفر ، ولو قال لا إله إلا الله ؛ وأن من أنكر الشفاعة كفر ، وغير ذلك ، بل يستدل على أن من كفر مسلماً فقد كفر ؛ ومع هذا كله ، ينكر على من كفر ، من جعل مع الله إلهاً آخر ، ويكفره ؛ فلا يبدي قولة في اعتراضه ، ، وتلبيسه ، إلا هي أكبر من أختها ، في الجهالة، والضلالة ، والتناقض ؛ ولو كان يعرف شيئاً من الكتاب ، والسنة ، وما تدل عليه من الأحكام ، والاعتبار ؛ وما عليه أهل السنة ؛ أو له عقل يعيش به ، لأحجم عن هذا الاعتراض ، الذي لا يتفوه به إلا أعظم الخلق ، إفلاساً من العلم ، والعقل والدين .

يا خاسراً هـانت عليه نفسـه ... إذ باعها بـالغبن من أعدائـه
لو كنت تعلم قدر ما قد بعته ... لفسخت ذاك البيع قبل وفائه
أو كنت كفواً للرشاد وللهدى ... أبصرت لكن لست من أكفائه

ونذكر له شيئاً من معنى لا إله إلا الله ، مما هو أدل شيء على نقيض قصده ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : الإله هو الذي تألهه القلوب ، محبة وذلاً ، وإنابة ، وتعظيماً ، وتوكلاً ، وخوفاً ، ورجاء ؛ وكذلك قال غيره من أهل العلم ؛ وبعد التعريف ، والتفخيم ، صار علماً على ربنا تبارك وتعالى ؛ قال سيبويه : هو أعرف المعارف ، قال تعالى ممتدحاً بذلك : ﴿ **هل تعلم له سمياً** ﴾ .

قال في القاموس : أَلِهَ يأْلَهُ إِلٰهَةً وأُلوهيةً ، عبد يعبد عبادةً وعبودية ، وكل من عبدَ شيئاً ، فقد اتخذه إلهاً ، فإن الإله وضع لكل معبود ، حقاً كان ، أو باطلاً ، لأنه مشتق من الإلهية ، بمعنى العبادة ، ثم غلب على المعبود بحق ، وهو الله تعالى .

وقال الوزير : قوله شهادة أن لا إله إلا الله ، يقتضي أن يكون الشاهد ، عالماً بأنه لا إله إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ قال : واسم الله مرتفع بعد إلا ، من حيث أنه الواجب له الإلهية ، فلا يستحقها غيره سبحانه ؛ قال ، وجملة الفائدة في ذلك : أن تعلم أن هذه الكلمة ، مشتملة على الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ؛ فإنك لما نفيت الإلهية ، وأثبت الإيجاب لله ، كنت ممن كفر بالطاغوت ، وآمن بالله .

وقال ابن القيم : فدلالتها على إثبات الإلهية ، أعظم من دلالة قولنا : الله إله ؛ ولا يستريب أحد في هذا البتة ؛ وقال

البقاعي : لا إله إلا الله ، أي : انتفاء عظيماً ، أن يكون معبوداً بحق ، غير الملك الأعظم ، فإن هذا العِلْمَ هو : أعظم الذكرى المنجية ، من أهوال الساعة ، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً ، وإنما يكون نافعاً ، إذا كان مع الإذعان ، والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف ا هـ. وهذا معنى قول أهل السنة جميعهم .

وطريقة القرآن : كثيراً ما يقرن بين النفي والإثبات ، لأن المقصود لا يحصل إلا بهما ، قال تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ وغيرها من الآيات ، ينفي سبحانه عبادة ما سواه ، ويثبت عبادته وحده لا شريك له ؛ والنفي المحض ، ليس بتوحيد ، وكذلك الإثبات بدون النفي ؛ فلا يكون التوحيد : إلا متضمناً للنفي والإثبات ، وهذا هو حقيقة لا إله إلا الله ؛ ولذلك أفادت الحصر ، والاختصاص ، وقول بعضهم لها ، وما شابهها ، من الآيات ، التي ابتدئت بنفي الإلهية ، والعبادة عن غير الله : إن ذلك أبلغ وآكد ، في الإثبات والاختصاص ؛ ومنه : لا رجل إلا زيد ؛ فإنه مع إفادته نفي الصفة عن غير المستثنى ، أفاد اثباتاً له على وجه الكمال ، الذي لا يتأتى بمجرد الإثبات من غير نفي .

ولأن بين النفي والإثبات ، تلازم من كل وجه ، فلا براءة من الشرك ، وعبادة غير الله ، إلا بتوحيده ؛ ولا توحيد إلا بالبراءة من كل معبود سوى الله ؛ فانتقض أصل هذا المعترض ، وصار هذا

الحديث ؛ أدل دليل على كفر من عبد مع الله غيره .

وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ : **﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾** بدأ بالعلم ، قبل القول والعمل ؛ لأن القول لا ينفع ، إلا مع علم القلب وإيمانه ويقينه ؛ والأعمال تصدق ذلك أو تكذبه ، فإذا تكلم بها العبد عالماً بمعناها ، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً ، بصدق ، وإخلاص ، ويقين ، نفعته .

وأما النطق بها من غير معرفة لمعناها ، ولا عمل بمقتضاها ، من نفي الشرك ، وإخلاص القول ، والعمل لله وحده ، فغير نافع بإجماع المسلمين . فإن أعدل شاهد على كذب ذلك : الإتيان بما ينافيه ، إذ لو كان صادقاً ، لعمل بمدلول ما قاله ؛ ومدلول اللفظ ، هو : المعنى المطابق للدال ، وهو اللفظ ؛ ومعناها : لا معبود بحق إلا الله .

فتضمنت هذه الكلمة العظيمة ، التي قامت بها السموات والأرض ، وجردت لأجلها سيوف الجهاد : نفي الإلهية عما سوى الله ، وإخلاص العبادة لله عز وجل ، فنفت جميع ما يعبده المشركون من دون الله ، من ملك ، ونبي وولي ، وحجر ، وشجر ، وغيرها ؛ وأثبتت العبادة بجميع أنواعها ، لله وحده لا شريك له ؛ وهذا هو التوحيد ، الذي دعت إليه الرسل ، وكتبنا المقالة في تجريده لله وحده ؛ وهو الذي أصّلتَ وفصلت ، وقمت وقعدت ، في رده وإبطاله .

وتقدم : أن القرآن من أوله إلى آخره ، يبينه ، ويقرره ، ويرشد إليه ، والسنة ، والإجماع متواتر في ذلك ؛ وأن العبادة بجميع أنواعها : إنما تصدر من تأله القلب بالحب ، والخضوع ، والتذلل رغباً ، ورهباً ، وغير ذلك ، مما لا يستحقه إلا الله وحده ؛ ومن صرف منه شيئاً لغير الله ، فما قال لا إله إلا الله .

وروى ابن جرير ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ فقال : « قد قالها الناس ، ثم كفر أكثرهم » فعلم أن من الناس من يقولها ، ولا عرف مدلولها ، من النفي والإثبات ، وهم الأكثر ، فيثبت بقوله ، ما دلت هذه الكلمة العظيمة على نفيه ، بإشراكه بالله في الألهية ، بل وينكر ذلك ، ويعادي من دعا إلى التوحيد ، كهذا المعترض ؛ وذلك من فرط جهله بمعنى لا إله إلا الله ، كما هو الغالب على أكثر من يقولها ، ويدعي الإسلام ، وهو يجعل مع الله إلهاً آخر .

وأما المسلم الموحد ، فهو من يقولها عن علم ويقين ، وصدق وإخلاص ، من قلبه ، ويؤدي حقوقها ، ويعمل بمقتضاها ، من إفراد الله بالعبادة، والبراءة ، من الشرك وأهله ، والموالاة لأهل التوحيد ، والمعاداة لأهل الشرك ، والاستقامة على ذلك ، ولم يأت بما يبطلها ، لا من زعمتَ ، وكذلك قوله : وأن محمداً رسول الله ، يقتضي طاعته فيما أمر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر .

وزبدة ما أمر بـه: عبادة الله وحده ؛ وأعظم ما نهى عنه : الشرك بالله ؛ وأتى بهاتين الصفتين ، وجمعهما ، رفعاً للإفراط والتفريط، فإن كثيراً ممن يدعي أنه من أمة محمد ﷺ أفرط بالغلو، قولاً وفعلاً ، أو فرط بترك متابعة رسول الله ﷺ .

وهذا المعترض له أعلى الحالتين ففرط بترك متابعته ، واتباع أمره ، بإفراد الله وحده بالعبادة . وأفرط بالغلو ، إلى أن جعله إلهاً مع الله ، ومع هذا يستدل بهذا الحديث ؛ فما وجه استدلاله به ، إذا كان من دعا غير الله، واستغاث به ، وتوكل عليه ، ولجأ إليه ، وذبح له ، ونذر له ، قد نقض شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؟! .

أما علم هذا الغبي : أن المنافقين يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ، ويزكون ، ويجاهدون مع رسول الله ﷺ، وهم في الدرك الأسفل من النار ، وأجمعت الأمة على كفر بني عبيد القداح ، مع أنهم يتكلمون بالشهادتين ، ويصلون ، ويبنون المساجد ، في قاهرة مصر ، وغيرها ؛ وصنف ابن الجوزي ، كتاباً في وجوب غزوهم ، وقتالهم ، مع إقرارهم بالشهادتين ، والإتيان بالصلاة، والصوم ، والحج .

وقد كفر أهل العلم : من أنكر فرعاً مجمعاً عليه إجماعاً قطعياً ، وإن صلى وصام ، فكيف بمن يدعو الأنبياء والصالحين ، ويصرف لهم خالص العبادة ولبها ؟! وهذا مذكور في كتب أهل

المذاهب الأربعة ، بل كفروا ببعض الألفاظ ، التي تجري على ألسن بعض الجهال ، وإن صلى وصام من جرت على لسانه ؛ وهل يدع هذا كله ، ويرميه وراء ظهره ، إلا من غلب عليه متابعة الهوى ، وعدم الوقوف مع الكتاب ، والسنة ، والإجماع .

قال الجزائري :

وقوله للصحابي ، ظن برجل سوءاً : هلا شققت عن قلبه ؟! .

والجواب : أن المشركين في زمن النبي ﷺ لا يقولون لا إله إلا الله ، لما يعرفون من نفيها لآلهتهم ، ولما قال لهم رسول الله ﷺ : « قولوا لا إله إلا الله » قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ فإذا قالها أحدهم ، كانت دالة على إسلامه ، وهذا هو معنى الأحاديث ، التي جاءت في الكف عمن قال لا إله إلا الله ، فإن مشركي العرب ، جحدوها لفظاً ومعنى ؛ ومشركي زماننا ، أقروا بها لفظاً ، وجحدوها معنىً ، فتجد أكثرهم يقولها ، ويأله غير الله ، بأنواع العبادة ، بل يخلصون العبادة في الشدائد لغير الله ؛ ومن قال : لا إله إلا الله ؛ ودعا غير الله ، وعدل به سواه ، كمشركي هذه الأزمان ، فما المانع من تكفيره ، فإن لقلقة اللسان بها لا تنفعه .

ومن المعلوم بالضرورة من الدين : أنها اقتضت نفي الإلهية ، عن كل معبود دون الله ، وأثبتت الإلهية لله وحده ؛ وأن المقصود منها ، البراءة من الشرك ، وعبادة غير الله ؛ لا مجرد القول ، مع

ارتكاب ما ينافيه ، قال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

وقال عليه السلام : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحده » فإذا دعا مع الله إلهاً آخر ، لم ينفعه التلفظ بها ، دون العمل بمقتضاها . فلا إله إلا الله ، ما أعمى عين الهوى عن الهدى ! يستدل على جواز دعاء غير الله، نبياً، أو غيره ، بالأمر بالكف عمن قال لا إله إلا الله ، وإن جعل مع الله إلهاً آخر ! .

وقد تقدم : من الأدلة ، على وجوب تكفير من جحد من الدين ، ما هو معلوم بالضرورة ، من دين الإسلام ، ومن دعوة جميع الرسل ، وإن كان يقول لا إله إلا الله ، ما فيه كفاية ، وذلك لأن الدين ، لا يجوز التفريق فيه ، بأن يؤمن الإنسان ببعض ، ويكفر ببعض ، قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً** ﴾ .

ولازم قوله : أنه لا يجوز تكفير من قال لا إله إلا الله ، ولو أشرك بالله ، وكفر به ، وفعل ما فعل ، تخطئة لأصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم مانعي الزكاة ، وإجماعهم على قتال من لا يصلي ، إذا كانوا طائفة ممتنعة ، بل يلزم منه ، تخطئة جميع الصحابة ، في قتال بني حنيفة ، وتخطئة علي في قتال الخوارج ،

بـل لازمــه : رد نصـوص القرآن ، كمـا قـدمنـا ، ونصـوص رسول الله ﷺ .

قال الجزائري :

وقوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ؛ وحرمة ماله ، كحرمة دمه »، أخرجه الطبراني في الكبير ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ ولعن المسلم كقتله ؛ إن الطعانين ، واللعانين ، لا يكونون شفعاء ، ولا شهداء ؛ ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء .

والجواب : إن هذه الأحاديث حجة لنا ، ظاهرة في نقض مراده ، أتيحت على لسان هذا الوحشي ، فهو الذي حشا رسالته ، بسـب أهل التوحيد ، وشتمهم ، وتكفيرهم ؛ وقد سقنا ما تقدم ، من قوله، بحروفه، وسقنا الكلام الذي اعترض عليه، لينظر المنصف ما موه به وافتراه، ومن الذي دعا إلى توحيد الله ، ومن دعا إلى الشرك به، وكفر المسلمين بمحض التوحيد، ومن الذي يسب المسلمين ويعاديهم، فإن كنا قد سببنا مسلماً، يؤمن بالله واليوم الآخر، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وهو يذب عن كل مسلم، هذا وصفه، ويسب من سبه، فهو أسعد منا بما أورده؛ وإن كان وصفه ما تقدم ـ كما هو لازم كلامه ـ فما احتج به، فلا شك هو حجة عليه، لا يصدق علينا منه حرف واحد، بل وكل ما احتج به :

إما غير صحيح، أو خارج عن محل النزاع، أجنبيٌّ عنه.

وكل بحثه واستدلاله : غير دال على مطلوبه ، يعرفه من تأمله وأنصف ، ولو كان يعقل ما يقول ، لما تهور بهذه الرسالة ، وركب الأحموقة من هذه الجهالة والضلالة ، لكنه أعمى ، بليد جاهل ، لا يفهم مراد الله ، ولا مراد رسوله ﷺ ولم يعان ، ويمارس صناعة العلم ، والبحث مع المحصلين ؛ وإنما وجد أشياخاً ، وكتباً محشوة برد الحق ، واستبدلها بالكتاب والسنة ؛ والقلب إذا خسف : تصور الحقائق ، على غير ما هي عليه ، وقال الله تعالى : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾، ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾؛ شعراً :

تمنيت أن تمسي فقيهاً مناظراً بغير عناء والجنون فنون

قال الجزائري :

لا يعتريه أدنى شك : بأن الشريعة السمحاء ، تريد بالناس خيراً ، وتأبى التسرع بسوء الظن بالمسلمين ، قال عليه السلام : من كفر مؤمناً فقد كفر .

ومغزاه : أن الشريعة تريد بمن دعا مع الله إلهاً آخر ، وعدل به سواه خيراً ، فيسهِّل عليه ، وتأبى التسرع بسوء الظن به ، ومن كفره فقد كفر .

والجواب : أن البحث هنا في الألفاظ ، وما دلت عليه صريحاً ، وقد كفّر الله الذين قالوا كلمة الكفر ، على وجه المزح ، واللعب ، يقطعون بها الطريق في السفر ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمـداً رسـول الله ، وجـاءوا يعتـذرون إلى رسول الله ﷺ، ويحلفون ، وأنزل الله فيهم : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ والسرائر إلى الله تعالى .

وصريح لفظ : من دعا غير الله ، والتجأ إليه ، واستغاث به ، وطلب منه الشفاعة بعد موته ، أشد كفراً ، ممن قال كلمته في رسول الله ﷺ وأصحابه ، على وجه المزح ، واللعب ، فإن دعاء غير الله ، وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله ، أصل شرك العالم ، لا يمتري فيه من شمَّ رائحة الدين ، فالدليل واضح ، والمنار يلوح ؛ ومن قال : إن فاعل ذلك مسلم ، فهو ممن افترى على الله الكذب ، فإن الله كفر من جعل مع الله إلهاً آخر ، ونص على أن الشخص لا يدخل في الإسلام ، إلا بعبادة الله وحده لا شريك له ، والبراءة من كل ما عبد من دونه ، كما تقدم .

ولكن هذا المعترض : إما أن يكون من أبله الناس ، وأشدهم غباوة ،وأجهلهم بالله ، ودينه ، وشرعه ؛ وإما أنه يتعمد الكذب ، ولا يبالي ؛ وإلا فمن المعلوم أنهم ما دعوا رسول الله ﷺ، ولا غيره من الأنبياء ، والملائكة ، والأولياء ، والصالحين ، وغيرهم ، ولجأوا إليهم ، واستغاثوا بهم ، وطلبوا منهم قضـاء الحاجات ،

وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وقربوا لهم القرابين ، إلا لما يعتقدون فيهم من جلب منفعة ، أو دفع مضرة، أو إزالة شدة، أو إغاثة لهفة ، أو تفريج كربة ، بل : واعتقدوا فيهم أنهم يقدرون ، على ما لا يقدر عليه إلا الله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم .

فتارة يدعونهم مع الله ، وتارة استقلالاً ، ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك النفع والضر ، ويخضعون لهم خضوعاً ، لا يخضعونه بين يدي الله عز وجل ، وظهر بأفعالهم الشركية ، ما انطوت عليه العقائد القلبية ، وصرحوا بذلك في أقوالهم ،وما اعتمدوا عليه في أحوالهم ، حتى نطقوا بما اعتقدوا جهاراً ؛ وهذا أشد كفراً من كفر قريش ، الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وقاتلهم عليه ، ليكون الدين كله لله ، ويخلعوا الأنداد المدعوة كلها من دونه ، ولكن أعمى القلب لا حيلة فيه .

وفي الكتاب الذي نقل منه : كفر منكر الشفاعة ، في باب حكم المرتد ، قوله : فإن أسلم وإلا قتل ؛ لقوله : « من بدل دينه فاقتلوه » رواه البخاري واستدل بقوله : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ الآية ، وقال : ولأن ارتداد المسلم ، يكون بشبهة ظاهراً ، وقال : لأنا نحكم بالظاهر .

وقال : في بدائع الصنائع ، في بيان أحكام المرتدين : أما ركنها ، فهو : إجراء كلمة الكفر على اللسان ، بعد وجود

الإيمان ، إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان ، فالرجوع عن الإيمان ، يسمى ردة في عرف الشرع ؛ وقال ، وجه القياس : أن الأحكام مبنية على الإقرار بظاهر اللسان ا هـ.

فما الذي صدك عن هذا ؟! وحداك على القول بأنه ﷺ قال : من كفر مؤمناً فقد كفر ؟! ومرادك : أن من كفر من جعل مع الله إلهاً آخر ، فقد كفر مؤمناً ، ومن كفر مؤمناً ، فقد كفر ، سبحان الله ، ما هذا الضلال ؟! وما هذا الصدود عن الحق ؟! وما هذا التناقض البين ؟! الذي هو أكبر دليل على جهلك ، وسخافة عقلك ، وقلة دينك ، وعداوتك لهذا الدين الحنيف .

ويحك ! أليس استدلالك بهذا الحديث ، على كفر من كفر مسلماً ، تسرعاً على أصلك ؟! ليس على جهلك وهوسك من مزيد ، وإلا فما الحامل لك على الرد ، على من دعا إلى توحيد الله ، والتزامه ، غير اتباع سنة من قالوا : سب ديننا ، وشتم آلهتنا ، لما دعاهم إلى التوحيد ، ولبئس الاتباع ، وبئست الوراثة ؛ ونحن بحمد الله : لم نكفر المؤمنين ، وعليك أن تصحح نسبة ما جزمت أن رسول الله قاله ، إلى قائل معروف ، يحتج بقوله ؛ وقد قال بعض الحفاظ : لا أصل له ؛ ويكفينا في قبوله ، إذا كان له وجود في دواوين الإسلام ، التي صنفها حفاظ الحديث ، فإن لم تجد له أصلاً ، فكيف تحكيه جازماً به ؟ ومعلوم : أن ما ليس له أصل لا ينهض للاحتجاج به ؛ وإذا نهض فهو حجة لنا عليك .

والذي ثبت في الصحيح ، عن أبي ذر : « من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال يا عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه » أي : رجع ، وغاية هذا الحديث : الوعيد الشديد ، إذا لم يكن خصمه كذلك ، وكذلك الحديث المعروف : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ». ومن كفر إنساناً ، أو فسقه ، أو نفقه ، متأولاً لحق الله تعالى ، فيرجى العفو عنه ، كما قال عمر ، في شأن حاطب ؛ وكذا غيره من الصحابة ، وغيرهم رضي الله عنهم ، ومن كفر من جعل مع الله إلهاً آخر ، فقد حكم بما أنزل الله ، ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾.

قال الجزائري :

فما لك بالحكم بشركهم ، وقتلهم ، وسبهم ، قبل الوقوف على نياتهم ، والاطلاع على غاياتهم ، ومرامي أقوالهم ، من ذكر الصالحين ، وموالاة عباد الله المخلصين ؟ على أن الإيمان هو : اليقين بالاعتقاد بالله ورسوله ، واليوم الآخر ، بلا قيد في ذلك ؛ والله سبحانه يحاسب عباده على ما يعقدون عليه نياتهم ، تصديقاً لما ورد في الحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ».

والجواب :

إن الحكم بشرك من دعا الأولياء ، والصالحين مع الله ، والتجأ إليهم ، وطلب منهم ما لا يقدر على جلبه ، إلا الله تبارك وتعالى ، أو استغاث بهم ، وخضع لهم ، وتذلل ، وتوكل ، واستكان ، وخشع ، وانطرح لهم ، ليدفعوا عنه سوءاً ، لا يقدر على دفعه إلا الله عز وجل ، هو : الحق الذي لا مرية فيه ؛ وبرهانه الكتاب ، والسنة وإجماع الأمة ؛ وفعل أولئك ، هو شرك المشركين ، الذي أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب بالنهي عنه ، وتكفير فاعله ، وقتاله ، والحكم عليه بالخلود في النار.

ولكن هذا المعترض وأخوانه ، لما نشأوا في الشرك ، واستغرقوا فيه ، أتوا في أقوالهم بالمستحيل ، ولم يصدقوا الخبر في إخباره ، حيث قال : ﴿ **والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾، ﴿ **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم** ﴾ فهذا ونحوه : هو البرهان على بطلان دعوتهم ، وعدم شعورهم ، وعلى شرك المشركين وضلالهم ، حيث نزلوا الأموات ، في النفع ، والضر ، منزلة من أزمة الأمور بيده ، وشبهوهم به تعالى ، بل سووهم به ﴿ **فتعالى الله عما يشركون ، أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، ولا**

يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾.

بل كابروا الواقع ، الذي يشهد به كل أحد ، ولا ينكر عموم البلوى به ، إلا من طبع الله على قلوبهم ، وصاروا دعاة إلى النار ، يستحسنون أكبر شرك على وجه الأرض ، وأفظعه ، دعاء غير الله ، من الأموات ، والغائبين ، الذي وضح الله تحريمه في كتابه ، وأكثر فيه ما لم يكثر في أي نوع من أنواع العبادة ، مثله ، كالسجود لغير الله ، والذبح لغير الله ، فذكر الذبح في موضعين ، وذكر أنواع العبادة كذلك .

وأما الدعاء : فذكره في نحو ثلاثمائة موضع ، منوعاً ، تارة على صيغة الأمر به ، كقوله : **﴿ ادعوني استجب لكم ﴾**، **﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾** وتارة يذكره بصيغة النهي ، كقوله : **﴿ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾** وتارة يقرنه بالوعيد ، كقوله : **﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين ﴾** وتارة بأن المدعو له ، كقوله : **﴿ ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو ﴾** وتارة في الخطاب ، بمعنى الإنكار على الداعي ، كقوله : **﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾** وتارة بمعنى الإخبار والاستخبار : **﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ﴾** وتارة بالأمر ، الذي هو بصيغة النهي ، والإنكار : **﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾** وتارة : أن

الدعاء هو العبادة ، وأن صرفه لغير الله شرك ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، ﴿ **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** ﴾ .

وفي الحديث : « الدعاء مخ العبادة » ، « الدعاء هو العبادة » صححه الترمذي ، وغيره ؛ وقد أتى فيه بضمير الفصل ، والخبر المعرف باللام ، ليدل على الحصر ، وأن العبادة ليست غير الدعاء ، وأنه معظم كل عبادة ، كما في الصلاة ، والصوم ، والحج ، وغيرها ، من سائر العبادات ، ونهى : ألا يشرك معه أحد فيه ، حتى قال : في حق نبيه ﷺ ﴿ **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً** ﴾ وأخبر أنه لا يغفر أن يشرك به .

وهذا المعترض يقول :

مالك بالحكم بشرك من أشرك بالله ؟! وجعل معه إلهاً آخر يدعوه ، ويلجأ إليه ، ويسأله الشفاعة ؟! كما هو ظاهر رده ، وإن غير الواقع بلفظ : ذكر الصالحين ؛ فقد اختار أن يكون من الذين قال الله في حقهم : ﴿ **ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا** ﴾ فهذا : هو عين مجادلة هذا الداعية الضال ، وهذا حكم الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ .

وأما موالاة الصالحين ، وعباد الله المخلصين ، ومحبتهم ،

والترضي عنهم ، والإيمان بكراماتهم ، فحق لا مرية فيه ، وليس ما نحن فيه ؛ وإنما يلبس على العوام ، ويحسن لهم الباطل .

وذكر الميلي في رسالة الشرك ومظاهره : أن عباد القبور ، والأولياء ، والصالحين ، لا يقفون بالكرامة دون التصرف في الكون ، وعلم الغيب ، بل لا يكادون يفهمون منها غير هذين الأمرين ، الذين استأثر الله بهما ، فهدموا بكرامتهما أصلين عظيمين من أصول الدين ا هـ.

ومن عرف دين الله الذي رضيه لعباده ، وأوجبه عليهم ، من توحيده ، وإفراده بالعبادة ، تبين له: أن المنع من دعائهم ، وقصدهم من دون الله ، في الحاجات ، والملمات ، هو عين تعظيمهم ، وتوقيرهم ؛ أتظن أن عبد القادر الجيلاني ، الذي تعبدونه من دون الله ، وهو في المشرق ، وأمثاله من الصالحين ، يرضون منكم بهذا ؟ بل لو خرجوا عليكم لكفروكم ، وقاتلوكم ، وراجع كتبهم تجد ذلك صريحاً فيها.

ومنه قول عبد القادر في الغنية : ملعون من كان ثقته بمخلوق مثله ، ما أكثر الذين دخلوا في هذه اللعنة ، ومن وثق بمخلوق مثلـه ، فهو كالقابض على الماء ، يفتح يده لا يرى فيها شيئاً : وقال : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ الآية ، اتق الشرك جداً ولا تقربـه، واجتنبه في حركاتك وسكناتك ، اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تعصوا ، وحّدوا ولا تشركوا ، ا هـ.

وأنت وأمثالك : أهل التنقص بهم ، وبغضهم ، والعداوة لهم ، ومخالفتهم ، بل : وللرسل عليهم الصلاة والسلام ، فإن طاعتهم وتصديقهم ، وتوقيرهم في إخلاص الدين لله ، وترك دعائهم مع الله عز وجل .

وقوله : وأن الإيمان هو اليقين بالاعتقاد بالله ورسوله . . إلخ ، بلا قيد في ذلك ؛ هو قول المرجئة ، المخالف للكتاب والسنة ، وإجماع الأمة، والله تعالى : لم يأمرنا بإيمان مطلق ، بل بإيمان خاص ، وصفة وبينة تامة ، قائم بالقلب ، مستلزم لما وجب من الأعمال القلبية ، وأعمال الجوارح ، وقد تقدم : حكاية مذهب أهل السنة والجماعة : أن الإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب ، واللسان ، والجوارح؛ وأما مجرد اعتقاد بلا قيد ، فلا يكفي في الإيمان بالإجماع .

وتقدم : أنه يثبت الإيمان بالقول ، فما أكثر تناقضه ! لم أره يتقيد بقول أهل السنة في شيء ، ولا بقول الجهمية ، ولا بقول المرجئة ، ولا بقول المشركين ؛ مرة يتبرأ من قول وينفيه ، ومرة ينصره ويذب عنه ، ومرة يدعي أنه من المسلمين ، ومرة يكفر المسلمين الموحدين ، ويتبرأ منهم ، ويدعو إلى الشرك ، ومرة يرد الكتاب والسنة ، ومرة يستدل بهما .

يوماً بحزوى، ويوماً بالعقيق، وبالـ   ـعذيب يوماً ، ويوماً بالخليصاء
وتارة تنتحي نجداً ، وآونةً   شعب الغوير ، وطوراً قصر تيماء

والإيمان بالله عز وجل ، ورسوله ﷺ واليوم الآخر : يستلزم محبة الله ، وخشيته ، والإنابة إليه ، والرضا عنه ، وإفراده بجميع أنواع العبادة ، فإذا اختل شيء من ذلك ، فصاحب الدعوى من المنافقين ، في الدرك الأسفل من النار ، وما توهمه هذا المعترض ، ليس من الدين في شيء ، ولا من أقوال علماء الأمة ، وأئمتها في شيء ؛ وإنما هو قول غلاة المرجئة ، من الجهمية ، وغيرهم ، المخالفين للكتاب والسنة ، فهم الذين يقولون : الإيمان مجرد التصديق ، فإبليس عندهم مؤمن ، وفرعون مؤمن ، والساجد للصنم مؤمن ، إذا اعتقد أنه مؤمن .

ولا نزاع أنه لا بد من الإيمان بالقلب ، واللسان ، والجوارح ؛ والإيمان قد يذكر مجرداً ، وقد يذكر مقروناً بالعمل ، أو بالإسلام ، فإذا ذكر مجرداً ، تناول الأعمال كحديث: « الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » وكحديث : « آمركم بالإيمان بالله ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم » وإذا ذكر مع الإسلام ، فرق بينهما ، كما في حديث جبريل المشهور .

وإذا ثبت الإيمان في القلب ، لم يتخلف عنه مقتضاه ، ولهذا ينفي الله الإيمان ، عمن انتفت عنه لوازمه ، فإن انتفاء اللازم ،

يقتضي انتفاء الملزوم ، وإن كان نفي الإيمان ، قد يراد به نفي كماله الواجب ، وإذا كان الإيمان بالله ، يقتضي إفراده بالعبادة ؛ وقال المعترض : إنه الاعتقاد بلا قيد ؛ انتفت حقيقته ، وإذا انتفت حقيقته ، فوجوده كعدمه .

وقوله : والله يحاسب عباده ، على ما يعقدونه ، على نياتهم ، تصديقاً لما في الحديث : « إنما الأعمال بالنيات » الخ ، لا يمنع القول بشرك من جعل مع الله إلهاً آخر ، فإن الأخذ في الدنيا بالظواهر ، وما دل عليه اللفظ صريحاً ، وهذه قاعدة معروفة : أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر ، والله يتولى السرائر .

ونص العقلاء : على أن من الحمق المتناهي ، تكذيب العين ، وتصديق الظن ؛ فكيف نقبل منك هذه الدعوة ، وقد قال عمر ، رضي الله عنه : إن الوحي قد انقطع ، وإنما نؤاخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه ، وقربناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً ، لم نؤمنه ، ولم نصدقه ، وإن قال : إن سريرته حسنة ، وعلى هذا إجماع المسلمين .

وهذا الحديث الشريف ، الذي استدل به : أصل عظيم من أصول الدين ، بل أصل كل عمل ؛ وهو من أدل دليل على المعترض ، ويهدم ما أصله من أساسه ، فإن من جعل مع الله إلهاً آخر ، فقد خلع ربقة الدين ، وانتفى من الإيمان برب العالمين ؛

وصار هذا الحديث ، من أكبر الحجج على شركه ، فإنه ذكر النية المحمودة ، بالهجرة إلى الله ورسوله فقط ؛ والنية المذمومة ، وهي : الهجرة إلى امرأة ، أو مال .

وسبب هذا الحديث : أن رجلاً كان قد هاجر ، من مكة إلى المدينة ، لأجل امرأة كان يحبها تدعى : أم قيس ، فكانت هجرته لأجلها ، فكان يسمى ، مهاجر أم قيس . ومقصوده ﷺ ذكر جنس النية ، فقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » من جوامع الكلم ، كما في الحديث : « بعثت بجوامع الكلم ».

وهذا من أجمع الكلم الجوامع ، التي بعث بها رسول الله ﷺ فإن كل عمل يعمله عامل ، من خير وشر ، هو بحسب ما نواه ، فإن عمل حسناً ، وقصد بعمله مقصوداً حسناً ، كإفراد الله بالعبادة ، والتوجه إليه وحده ، وإسلام الوجه له ، كان له ذلك المقصود الحسن ؛ وإن عمل سيئاً ، وقصد به مقصوداً سيئاً ، كدعاء غير الله ، من الأنبياء ، والصالحين، وغيرهم ، والالتجاء إليهم ، والتضرع ، والرغبة ، والرهبة ، والاستغاثة بهم ، وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، شفاعة ، أو غيرها ، كان له ذلك المقصود السيء ، شاء أم أبى ، وأجري عليه ما يستحقه بذلك المقصود .

وهذا المعترض : لو تأمل معنى هذا الحديث الجليل ، لأعرض عنه ، كما أعرض عن كل ما هو حجة عليه ، ظاهرة من

الكتاب والسنة ، وأقوال أهل العلم ، عادة أهل البدع ، ولعلم أنه في واد من الجهل ، عميق ، كيف يحتج بما هو حجة عليه ؟! وكيف لا يعلم معنى ما يورده ؟!.

قال الجزائري : ثم نرجع إلى ما نحن بصدده ، وأما قولك : إن بعض العلماء ، مدحوا النبي ﷺ وصنفوا فيه المصنفات ، نظماً ، ونثراً ، مما لا يحصى كثرة ، وغلوا في مدحه ﷺ ، فكلامك هذا : طعن في النبي ﷺ، لأنك تعتقد أن النبي ﷺ مات ، ولم ينتفع به في الدنيا ، والآخرة ، وصاحب هذا الاعتقاد : يخشى عليه أن يموت ، على سوء الخاتمة ، والعياذ بالله .

والجواب : إني لم أقل بعض أهل العلم ، وإنما قلت : وحض على ذلك ؛ أي : الغلو في النبي ﷺ بعض من يدعي العلم ، وصنفوا فيه المصنفات ، نظماً ، ونثراً ، مما لا يحصى كثرة ، وجوزوا الاستغاثة به ، في كل ما يستغاث الله فيه . . . إلخ .

وهذا بحمد الله ، كل منصف يعلم أنه هو الواقع ، الذي لا مرية فيه ، ورده وإبطاله هو : ما عليه أهل السنة والجماعة ، ولكن هذا المعترض : جمع مع الكذب على الله ، وعلى رسوله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، الخيانة في النقل ، ولم يعرف

الفرق بين من يدعي العلم ، ممن يستحق أن يوصف به ، ولم يردَّ - بحمد الله - كلمة واحدة بحق .

وهكذا : كان أهل هذه الدعوة ، لم يرد عليهم أحد بحق ، مع كثرة خصومهم ، كأسلافهم من أهل السنة ، لتمسكهم بالكتاب والسنة ، وما ذكرته من المصنفات ، نظماً ، ونثراً ، في الغلو في مدح النبي ﷺ، وإطرائه بما لا يستحقه ، إلا الله عز وجل ، فكثيرة ، صرحوا فيها ، بالحض على عبادته مع الله ، وتفرده بالنفع ، والضر ، من دون الله ، وأنه يعلم الغيب ، وأن جميع المخلوقات منه ، والدنيا والآخرة من جوده ، ويحضون على الاجتماع لدعائه ، والرغبة إليه ، باسم المولد ، والنذر له ، والذبح له ، والتمثل بين يدي قبره ، قياماً ، يدعونه ، ودفع جزء من الأموال ، قربة لـه ، وغير ذلك ، مما هو من موجبات الكفر ، والردة ، ولكن لا يعرفه ، إلا من نور الله قلبه .

وأما أنت وأضرابك : فتدعوا إلى ذلك ، وتحض عليه ، وتكفر من نهى عنه، ولأنت وأضرابك الدجالون، الكذابون، أضر على المسلمين من جميع المخالفين، فإن اليهود، والنصارى، لا يتمكنون من إغواء عوام المسلمين، أما أنتم فتتـزيون بـزي المسلمين، وتشاركونهم في كثير من شعائر الإسلام، فربما نفق نفاقكم، وراجت، خزعبلاتكم، على بعض العوام؛ وسيجزيكم الله، ما جزى به أمثالكم من الداعين إلى عبادة اللات، والعزى،

ومناة، ونحوها وعبادة القبور، ورفع القباب عليها، المصنفين في ذلك من الكتب، في الدعوة إلى عبادتها، ما لا يحصى، حتى طبقت العالم، وأعظم أسباب اتساعها في العالم، بلا شك، دعاؤك وأضرابك إليها، واستحسانها، وتحسينها للعوام.

ألا هل عمٍ في رأيه متأمل   وهل مدبر بعد الإساءة مقبل
وهل أمة مستيقضون لرشدهم   فيكشف عنها النعسة المتزمل
لقد طال هذا الغي واستخرج الكَرَى   مساويهموا، لو أن ذا الميل يعدل

وقوله: فكلامك هذا طعن في النبي ﷺ؛ حاشا، وكلا، بل هذا مما افترض الله علينا، من طاعته، ومحبته، وتوقيره؛ وهو ﷺ أحب إلينا من أنفسنا، وأولادنا، والناس أجمعين؛ ونعظمه بكل تعظيم، جاء به الكتاب، والسنة؛ ولكن لا نغلوا فيه، فقد نهانا عن الغلو فيه، وإطرائه، كما ثبت ذلك عنه ﷺ في غير ما حديث، فتجتنب التعظيمات، التي تشتمل على موجبات الكفر.

ولكن فهمت، من الأمر بتجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له، والنهي عن دعاء نبينا ﷺ وغيره: أنه طعن فيه ﷺ وتنقص له، وحط من رتبته، وإبطال لشفاعته، لبلادتك، ورسوبك في الجهل، وعداوتك للتوحيد، وأهله؛ ومشابهتك الذين قالوا: ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ فكانوا

ينكرون على النبي ﷺ أن يذكر آلهتهم بما تستحقه .

فلشدة غلوك فيمن تعبده من دون الله ، لما ذكرناه بما يستحقه ، نفرت ، وعاديت ، ورددت ما أوردناه ، من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ؛ وإلا فليس متابعته ﷺ وموافقته ، فيما أمر به من توحيد الله ، ومانهى عنه من الشرك بالله ، طعناً ، ولا تنقصاً ، ولا عداوة أصلاً ، بل موالاة له ، واتباع له ، وتعزير وتوقير ، وإنما الطعن ، والتنقص ، والعداوة في تكذيبه ، وعناده ، ورد ما جاء به من توحيد الله ، وسؤاله ، والاستغاثة به ، فيما لا يقدر عليه ، وأذى له ، وعدوان عليه ﷺ. وقال تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً** ﴾.

ولا ريب : أن هؤلاء المشركين ، الجاعلين مع الله إلهاً آخر ، مؤذون للرسول ﷺ مخالفون لما جاء به ، مكذبون له ، مبدلون لدينه ، مسلطون السفهاء على أذاه ؛ مانعون أجر ما دعا إليه من الدين أن يصل إليه ، وفي مقدمهم : هذا المعترض ، الطاعن ، المنتقص ، لجهله ، وإشراكه ، وضلاله ، وعدم إيمانه بما جاء به الرسول ﷺ وأمره بما نهى عنه ؛ ونهيه عما أمر به ، وتبديله لشريعته ، والسعي في أذيته ، فهو الجدير بسوء الخاتمة .

ونحن إذا قلنا : لا يعبد إلا الله وحده ، لا الأنبياء ، ولا الصالحون ، ولا غيرهم ، ولا يلجأ إليهم ، ولا يستغاث بهم ، ولا تطلب الحاجات منهم ، ومن فعل ذلك ، فقد عبدهم ، ومن

عبدهم ، فقد أشرك بالله ؛ كان هذا تحقيقاً للتوحيد ، وطاعة لله ورسوله ، ولم يكن طعناً فيه ﷺ، ولا تنقصاً به ، ولا سباً له ؛ وإن كان فيه بيان عدم بلوغ درجته درجة الربوبية ، فنقص المخلوق عن الخالق جل وعلا ، من لوازم كل مخلوق ، ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق .

والأنبياء والملائكة ، وغيرهم ، عباد الله يعبدونـه ، لا يُعْبَدُونَ **﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾** .

فإذا نفي عن مخلوق ـ نبي أو غيره ـ ما كان من خصائص الربوبية ، وبُيِّن : أنه عبـد لله ، كان هذا حقاً ، واجب القول ، وإذا جعل مع الله إلهاً ، كان ذلك إطراء للمخلوق ، وعبادة له ، فإن دفعه عن ذلك كان عاصياً ، بل مشركاً ، وقد قال ﷺ: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » وقال تعالى : **﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾** ، **﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾** وقد اختار ﷺ مقام العبودية والرسالة ، على مقام النبوة والملك .

ومغزى هذا المعترض : هو سبيل من غلا في المسيح ، أو

غيره ، من الأنبياء ، والملائكة ، كما قال عمرو بن العاص للنجاشي : إنهم يقولون في المسيح قولاً عظيماً ؛ يعني : أنه عبد ، رسول ، ليس بإله ، وكذلك هو طريقة قريش ، لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى توحيد الله ، قالـوا : عبت ديننا ، وسببت آلهتنا .

ونحن لما نهينا عن عبادة غير الله ، كعبادة نبينا محمد ﷺ أو غيره ، وأمرنا بعبادة الله وحده ، وأوردنا الأدلة القرآنية ، والأحاديث النبوية على ذلك ، وذكرنا شيئاً مما أطرى به الغلاة رسول الله ﷺ مما لا يستحقه إلا الله عز وجل ؛ قال هذا المعترض : كلامك هذا طعن في النبي ﷺ تبعاً لأسلافه ، المشركين بالله ، المتنقصين لرسله ﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ وإن زعموا أنهم أهل تعظيمه ، فهم عن التعظيمات الثابتة له بمراحـل.

ومن له أدنى عقل ، يعرف أن الأمر بتوحيد الله ، وإخلاص الدعاء له ، والنهي عن دعاء الأنبياء ، والصالحين ، ليس من التنقص في شيء ، بل هو الكمال ، والعز ، والسيادة ، وهل نال الأنبياء ، وغيرهم ، ما نالـوه ، من المقامـات ، إلا بتجريـد التوحيد ، وتحقيقه ، ومعرفة الله ، والدعوة إلى سبيله ، والبراءة مما نسبه إليه ، أعداؤه المشركون .

وأما صرف حق الله ، وما يجب له من العبادة ، والدعاء ، لغيره من نبي ، أو ولي ، أو غيرهما ؛ فهذا : محض التنقص لله ؛

ولهذا نزه الله نفسه ، عما يقول المشركون ، في غير موضع من القرآن ؛ وكذلك في السنة ؛ وتنقص للأنبياء والصالحين ، وطعن كبير ، لظن من فعل ذلك ، أنهم راضون به ، وأنهم يقرونهم عليه ، وأنهم ما نهوا عن هذا الجنس من الشرك ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ﴾ إلى قوله ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾.

فإن إخلاص التوحيد، لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، واستجلاب الخير ، واستدفاع الشر منه ، وبه تعالى ، لا بغيره ، ولا من غيره ، فلا يحتاج إلى مدبر ، أو وزير، أو ظهير ، أو معين ، من نبي ، أو غيره ، فهو سبحانه الغني بذاته ؛ وكل ما سواه فقير إليه ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾، ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴾.

وقوله : ولم ينتفع به في الدنيا والآخرة.

فنقول : لا شك أن الخلق ، لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما يأمر به ، وما ينهى عنه ، إلا به ﷺ فإنه السفير ، والواسطة بيننا وبين الله عز وجل ، في تعليمنا ؛ وهو : أعظم نعمة أنعم الله بها علينا ، وأنفعها ، بما علمنا به من علم الله ، وأرشدنا إليه من أمره ، وأمرنا به من المعروف ، ونهانا عن المنكر ، وحضنا عليه ، مما يقرب إلى الجنة ، ونهانا عنه ، مما يباعدنا عن النار ؛ وبين لنا

كل ما نحتاج إليه ، حتى تركنا على البيضاء ، ليلها كنهارها .

وأخبرنا بما كان ، وما يكون من أمر الدنيا ، والآخرة ، مما أطلعه الله عليه ؛ ورفع الله به عنا الآصار ، والأغلال ، وفي القيامة ليشفع في عموم الخلق ، فيستريحون من كرب الموقف ، ويقوم على الصراط ، فيقول : اللهم سلم سلم ، ويفتح باب الجنة ، ويشفع فيمن استحق النار ، وغير ذلك من النفع العام ، والخاص ، مما ليس الكلام فيه ، وليس هو مغزى المعترض .

وإنما الكلام ، والمغزى ، في : دعائه ، والالتجاء إليه ، والاستغاثة به ﷺ بعد موته ، هو ، أو غيره ، وطلبه ، هو ، أو غيره ، ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، الذي هو أصل الشرك ، بل إحياء للجاهلية الأولى ، إحياء لتلك الخرافة ، التي قضت عليها الشريعة .

وقد تقدم مراراً : أنه من المعلوم عقلاً ، وشرعاً ، أن الميت إذا مات ، وفارقت روحُهُ جسدَه ، وذهبت حواسه ، وحركته بالكلية ، وصار في عالم البرزخ ، رهيناً في الثرى ، أنه لا ينفع الحي ، ولا يجيب دعوته إذا دعاه ، ولا يسمعه ، ولو سمعه ما استجاب له ، ولا يغيثه إذا استغاث به .

وإذا كان أرواح الأنبياء ؛ الذين هم أكمل الناس ، وكذلك أرواح الأولياء ، والصالحين ، في أعلى عليين ، فيمتنع أيضاً ، عقلاً ، وشرعاً ، وفطرة ، وقدراً : أن تسمع دعاء أهل الأرض ،

وتنفعهم ، وتتصرف فيهم ، هذا محال قطعاً ، وضلال مبين ، فإن الله قال : ﴿ **وهم عن دعائهم غافلون** ﴾ فكل من دعا أحداً ، من الأموات ، والغائبين ، الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ، فذلك المدعو غافل ، عن دعاء داعيه ، بنص القرآن العزيز ، الذي : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾، ﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ فسماه الخبير تعالى : شركاً ؛ فكيف يسوغ عنده ، أنهم يغيثون من استغاث بهم؟! أو ينفعونهم، بعد أن كانوا لا يمكلون لأنفسهم نفعاً ، ولا ضراً ، هذا من أمحل المحال ؛ وأكذب الكذب ، وأشنع الرد على الله ، وعلى كتابه .

ولكن هؤلاء المشركين ، فسدت عقولهم وفطرهم ، وماتت قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما يعتقدونه ، من الكذب ، والمحال ، والشرك ، والضلال ؛ وكلام الله في هذا ، وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم : أشهر من أن يذكر ، وأكثر من أن يحصر ؛ وإن زعم أنه ﷺ ينتفع به ، فتطلب منه الشفاعة بعد موته ، كحال حياته ، ويجب عليه بعد موته ، ما وجب عليه حال حياته ، فيخرج في الغزوات ، كما كان يخرج في الغزوات ، ويقيم الحدود ، ويغيث الأمة ، من جملة ما كان يفعله حال حياته ، فهل يقول هذا إنسان ؟! أو يحتاج رد هذا إلى برهان ؟!

فليس عليه أن يأمرنا ، ولا ينهانا ، ولا يعلمنا ، ولا يهدينا ، ولا أن يفعل من الأفعال ، لا واجباً ، ولا مستحباً ، كما ليس ذلك على غيره من الناس ، بل الموت ، ينتهي به التكليف الثابت في الحياة ، بإجماع الناس .

ولا يستطيع أحد ، أن ينقل عن أحد من الصحابة ، ولا من السلف : أنهم بعد موته ﷺ طلبوا منه إغاثة ، ولا نصراً ، ولا إعانة ، ولا استنصروا به ، كما كانوا يفعلون في حياته ، ولا فعل ذلك أحد من أهل العلم ، والإيمان ؛ نعم : ينتفع بالإيمان به ، وطاعته ، ومحبته ، ونحو ذلك ؛ وأما دعاؤه ﷺ بعد موته ، وطلبه ما لا يقدر عليه إلا الله ، فلا ينفع أصلاً ، بل هو معصية لله ، ولرسوله ﷺ وكفر به ، وبما جاء به ، وشرك مع الله في عبادته ، بإجماع المسلمين ، وسبب لحرمان شفاعته ، لقوله : « هي لمن قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ».

قال الشيخ صنع الله الحلبي ، الحنفي ، في الرد على من ادعى : أن للأولياء تصرف في الحياة ، وبعد الوفاة ، هذا ، وأنه قد ظهر الآن ، فيما بين المسلمين ، جماعات ، يدعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم ، وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم ، في الشدائد ، والبليات ، وبهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم ، وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات .

وقالوا : منهم أبدال ، ونقباء ، وأغواث ، ونجباء ، وجوزوا لهم الذبائح ، والنذور ، وأثبتوا لهم فيها الاجور ، قال : وهذا كلام فيه تفريط ، وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي ، والعذاب السرمدي ؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما اجتمعت عليه الأمة ؛ وفي التنزيل : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ .

ثم قال : فأما قولهم إن للأولياء تصرفات في حياتهم ، وبعد الممات ، فيرده قوله : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ، ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ وذكر جملة من الآيات ، الدالة على أن المتفرد بالخلق ، والتدبير والتصرف ، هو الله عز وجل ، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه ، فالكل تحت ملكه وقهره ، تصرفاً ، وملكاً ، وإحياء ، وإماتة ، وخلقاً ، إلى أن قال : وأما القول بالتصرف بعد الممات ، فهو أشنع ، وأبدع ، من القول بالتصرف في الحياة ، قال جل ذكره : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ وقوله : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ﴾ الآية ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ، ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ وفي الحديث : « إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث .

فكل جميع ذلك ، وما هو نحوه ، دال على انقطاع الحس ،

والحركة ، من الميت ، وأن أرواحهم ممسكة ، وأن أعمالهم منقطعة، عن زيادة ونقصان، فدل ذلك: أنه ليس للميت تصرف في ذاته ، فضلاً عن غيره ؛ فإذا عجز عن حركة نفسه ، فكيف يتصرف في غيره ، فالله سبحانه يخبر ، أن الأرواح عنده ، وهؤلاء الملحدون ، يقولون : إن الأرواح مطلقة ، متصرفة **﴿ أأنتم أعلم أم الله ﴾**؟! .

قال ، وأما قولهم : ويستغاث بهم في الشدائد ؛ فهو أقبح مما قبله ، وأبدع ؛ لمصادمته قوله جل ذكره : **﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ﴾** ، **﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ﴾** وذكر آيات في هذا المعنى .

ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره ، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين ، وأنه المستغاث لذلك كله ، وأنه القادر على دفع الضر ، القادر على إيصال الخير ؛ فهو المتفرد بذلك ؛ فإذا تعين هو جل ذكره ، خرج غيره ، من ملك ، ونبي ، وولي .

ثم قال : وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم ، من الكرامات ، فهو من المغالطة ، لأن الكرامة شيء من عند الله ، يكرم بها أولياء ، لا قصد لهم فيه ، ولا تَحَدٍّ ، ولا قدرة ، ولا علم ، كما في قصة مريم ابنة عمران ، وأسيد بن حضير ، وأبي مسلم الخولاني .

قال : وأما كونهم معتقدين التأثير منهم ، في قضاء حاجاتهم ، كما تفعله جاهلية العرب ، والصوفية الجهال ، وينادونهم ، ويستنجدون بهم ، فهذا من المنكرات ؛ فمن اعتقد : أن لغير الله ، من نبي ، أو ولي ، أو روح ، أو غير ذلك ، في كشف كربة ، أو قضاء حاجة ، تأثيراً ، فقد غرق في وادي جهل خطير ، فهو على شفا حفرة من السعير .

وأما كونهم مستدلين ، على أن ذلك منهم كرامات ، فحاشا لله ، أن يكون أولياء الله بهذه المثابة ؛ فهذا ظن أهل الأوثان ، كذا أخبر الرحمن : ﴿ هٰؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾، ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾،﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردنِ الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ﴾ فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ، ولا دفع الضر ، من نبي ، أو ولي ، أو غيره ، على وجه الإمداد منه : إشراك مع الله ، إذ لا قادر على الدفع غيره ، ولا خير إلا خيره ، انتهى .

ولو ذهبنا ننقل كلام العلماء : في أن الميت لا يجيب دعاء الحي ، ولا يغيثه ، وأنه الشرك الأكبر ، لبلغ مجلدات ؛ والقول بأن دعاء النبي ﷺ بعد موته شرك ، لا يلزم منه القول ، بأنه لا يشفع يوم القيامة ، بإذن الله ، ولا ينفي ما له من الكرامة ؛ ولا يقول : إن جاهه انقطع بعد موته ، إلا ضال لا يؤمن بيوم الحساب ، بل هو دائم في مزيد ، وما من مؤمن ، يؤمن بما جاء

به ﷺ ويهتدي بهديه إلى يوم القيامة ، إلا كان ذلك زيادة في أجره وكماله .

ونحن : لا ننكر ما له ﷺ من الكرامات ، وكذلك ما كان لأولياء الله ، إذا صدرت على القـانون المـرضي ، والميزان الشرعي ، فإن لهم من الكرامات، التي يكرمهم الله بها ، ما لا يحيط بها إلا الله ، لكنها لا توجب لهم التصرف مع الله في ملكه ، فيدعون معه ، سبحان الله رب العـرش عما يصفون .

وأيضاً : ما أكرمهم الله به من الشفاعة ، لا ينالها ، من أشركهم مع الله في عبادته ، والتجأ إليهم ، في كشف الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وصرف لهم خالص حق الله ، بل هم منه بـرءاء ؛ ولا يكون من أهل ولاية الله ؛ وإنما ينال شفاعتهم : من آمن بالله ورسوله ، وأخلص العبادة بجميع أنواعها لله وحده ، ولم يشرك فيها أحد الأنبياء مرسلاً ، ولا ملكاً مقرباً ، ولا غيرهما ، فيكون الرسول ﷺ أولى به من نفسه، وتناله رأفته ورحمته، ويكون من أهل ولاية الله ، في الدنيا والآخرة .

قال الجزائري : وأما نحن المؤمنون ، الموحدون ، نعتقد أن النبي ﷺ انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو حي في قبره ، وأعمالنا ترد عليه ، فإن وجد خيراً ، حمد الله ، وإن وجد غير ذلك ، استغفر لنا ، كما ورد عنه ﷺ فيما أخرجه ابن سعد ، عن بكر بن عبد الله ، ومن صلى عليه منا مرة ، صلى الله عليه بها عشراً ، كما ورد ذلك ، فيما أخرجه الإمام أحمد ، ومسلم ، وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : من صلى عليَّ واحدة ، صلى الله عليه بها عشراً .

والجواب : أما قوله وأما نحن المؤمنون الموحدون ، فدعوى سامجة باردة ، يناقضها الحال ؛ وباب الدعوى ، أوسع مما بين المشرق والمغرب ، ودعوى المرء ، تطفيء نور بهجته بحق ، فيكف بكذب وزور ؛ وكل من فسد دينه ، يدعي الإيمان والتوحيد ؛ وليس كل من ادعى دعوى ، يحكم له بها ، ولا من تسمى باسم يعطى حكمه ، حتى يقيم على ذلك البرهان ، والحجة ، التي تخوله ما ادعاه ، وتسمى باسمه ؛ وأنى له ذلك .

فإن المؤمنين الموحدين : هم المتمسكون بما كان عليه رسول الله ﷺ من المعتقد والدين ، الذي خالفوا به أهل البدع ، وباينوهم ، فلم يذهبوا إلى بدعة الغالية ، في الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، وغيرهم ، وعزروا رسول الله ﷺ ونصروه ، ونصروا شرعته ، وهديه ، واتبعوه ، واستقاموا ؛ قال الله تعالى : ﴿ إنما

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ وتقدم معنى الإيمان .

وتسمية من دعا الأنبياء ، والصالحين ، والقبور ، وغيرها : مؤمنين ، موحدين ، زور ، وجهل عظيم ، بحدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ، وكفر بـالله ، ورسولـه؛ وقلب للمسميـات الشرعية ، وما يراد من الإيمان ، والإسلام ، والشرك ، والكفر ؛ ولئن كـان أهل الشـرك بـالله وعبـاد القبـور ، هم المؤمنين الموحدين ، لقد ضل من أنكر ذلك ، وكفر أهله ، هذا لازم قوله ؛ وقال الله تعالى : **﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾** أي : شرك **﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** وهذا : حكم أحكم الحاكمين ، لا من جعل أهل الشرك ، هم المؤمنين الموحدين .

وهذا الضرب من الناس : استحوذ عليهم الشيطان ، فصاروا يحسنون الظن بأنفسهم ، ويرون أنهم موحدون ، مؤمنون ، وهم مشركون ، ودعاة إلى الشرك بالله ، والعقائد الباطلة ، المبتدعة في الدين ، ومتبعون غير سبيل المؤمنين .

وكرر تسميتهم مسلمين : تزييناً للشرك ، ونصرةً له ، ودفعاً في صدور الآيات المحكمات ، التي أفصحت : أن جل شرك المشركين ، في حق من عبدوه مع الله ، إنما هو بدعائهم ، وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وتسويتهم إياهم

بـرب الأرض والسموات ، وتشبيـه المخلوق بـالخـالق ، في خصائص الإلهية.

ومن جعل من لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا ضراً ، ولا موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً : مساوياً ، أو مشابهاً ، لمن له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو على كل شيء قدير ، فليس من الموحدين ، ولا من المؤمنين ؛ بل من الكافرين ، العادلين برب العالمين ، شاء أم أبى.

وقوله: إن النبي ﷺ حي في قبره.

إن أراد الحياة الدنيوية ، كما هو ظاهر إطلاقه ، فالنصوص ، والآثار ، والإجماع ، والحس ، يكذبه ؛ قال الله تعالى: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ وقال تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾ وقال: ﴿ **كـل نفس ذائقة الموت** ﴾ وقد قام أبو بكر، رضي الله عنه، في الناس خطيباً ، يوم مات النبي ﷺ وقال ، أما بعد : فمن كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت ، وتلا هذه الآية : ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً** ﴾ وإن أراد الحياة البرزخية، كحياة الشهداء، فللأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أفضلها، وأكملها، ولنبينا محمد ﷺ منها الحظ الأوفر ، والنصيب الأكمل ، ولكنها لا تنفي الموت ، ولا تمنع إطلاقه على النبي ﷺ والشهيد ، وَأَمْرُ

البرزخ ، لا يعلمه ، ولا يحيط به ، إلا الله الذي خلقه ، وقدره .

قال البيضاوي ، على قوله: ﴿ بل أحياء ﴾ فيه تنبيه ، على أن حياتهم ، ليست بالجسد ، ولا بجنس ما يحس به ، من الحيوانات ؛ وإنما هي : أمر لا يدرك بالعقل ، بل بالوحي ؛ وفي الحديث المشهور : « ما من مسلم يسلم علي ، إلا رد الله عليّ روحي ، حتى أرد عليه السلام ».

ومن المعلوم بالضرورة ، من الكتاب ، والسنة : أن حياته ﷺ في قبره حياة برزخية ، وروحه في الرفيق الأعلى ، ولها اتصال بالبدن ، بحيث إذا سلم المسلم عليه ، رد الله عليه روحه ، فيرد عليه السلام ، وهي في الملإ الأعلى ، وكذلك أرواح الأنبياء ، وهم متفاوتون في منازلهم ، ونبينا ﷺ في المنزلة العليا ، التي هي الوسيلة .

وأما : إن حياته في قبره ، كالحياة الدنيوية المعهودة ، التي تقوم فيها الروح بالبدن ، وتدبره ، وتصرفه ، ويحتاج معها إلى طعام ، وشراب ، ولباس ، وغير ذلك ، فيأمر ، وينهى ؛ فباطل ، عقلاً ، وشرعاً .

قال ابن القيم ، رحمه الله تعالى :

لو كان حياً في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها ... والله هذي سنة الرحمان
أتراه تحت الأرض حياً ثم لا ... يفتيهمُ بشرائع الإيمان

ويـريح أمتـه من الآراء والـ ـخلق العظيم وسائـر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب كسائـل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللاء قد اثبتمـوهـا أوضحـوا ببيـان
هـذا ولم لا جاءه أصحـابـه يشكون بأس الفـاجر الفتـان
إذ كـان ذلـك دأبهم ونبيهم حي يشـاهدهم شهـود عيان
أو لم يقل من قبلكم للرافع الأ صوات حول القبر بالنكـران
لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده ميتـاً كحرمتـه لدى الحيـوان
قد كان يمكنهم يقـولوا إنـه حي فغضوا الصوت بالإحسان
لـكنـهم بـالله أعـلم منكـمُ ورسـولِـهِ وحقـائق الإيمـان

وقد اتفق أهل السنة : على أن الأنبياء ، أحياء في قبورهم ، حياة برزخية ، أعلى من حياة الشهداء ، لا ينازع في ذلك مسلم ؛ وتواترت به الأخبار ، والنبي ﷺ له الرتبة العليا من ذلك ، والأمر أبلغ من ذلك ، وأرفع ، ولكن لا يدل على جواز أنهم يقصدون للدعاء ، والاستغاثة ، وطلب الشفاعة .

فإن فضلهم ، وحياتهم ، وكرامتهم ، ونبوتهم ، ورسالتهم ، لا تقتضي صرف حق الله لهم ، وتنزيلهم منزلة الملك الخلاق ، في القصد والدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والرغبة ، والرهبة ، ولا يوجب ذلك صرف الوجوه ، عن علام الغيوب إليهم في شيء من المطالب ، والمقاصد الإلهية ، التي بيده ، تعالى ، وتقدس ؛ بل ذلك لله وحده ، لا شريك له ، لا يشركه فيه نبي مرسل ، ولا

ملك مقرب ، ولا غيرهما ؛ وقد قال تعالى ، لأكرم خلقه ، وأفضل رسله : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ .

أفيظن هذا المعترض ، الملحد : أن الرسالة ، والنبوة ، والكرامة ، والحياة الدنيوية ، أو البرزخية ، توجب صرف القلوب إليهم ، دون الله عز وجل ؛ وقصدهم ، واتخاذهم أنـداداً ، وشركاء ، لينفعوهم ، ويشفعوا لهم ؟! وقد ذكر الله هذا عن المشركين، وقرر شرك فاعليه، وأخبر أنهم لا يمكلون ضراً ولا نفعاً .

ودندنة هذا المعترض ، حول جواز دعائهم مع الله ، نصب نفسه للدعاء إلى عبادة غير الله ، وتحسين ذلك ، وتكفير من أنكره ، نعوذ بالله من زيغ القلوب ، ورين الذنوب ، ومن الخيبة والخسران ، يا مقلب القلوب ، صرف قلوبنا إلى طـاعتك ، وتوحيدك ، والإيمان بك ، وبرسلك ، واجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ، ولا مضلين ، يا رب العالمين .

وقوله : وأعمالنا تَرِد عليه ؛ وكذلك روي : أن أعمال هذه الأمة تعرض على أقاربهم ؛ وثبت : أن نسمة المؤمن ، طائر يعلق بشجر الجنة ؛ ويجب الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ ؛ وكون أعمال أمته تعرض عليه ﷺ ليس فيه ما يستدل به على جواز سؤاله ، و دعائه مع الله ، وطلب الحوائج منه ، والاستغاثة به ، وسؤاله الشفاعة ؛ ومن زعم ذلك ، فقد خالف الكتاب ، والسنة ، وقال بتجهيل الصحابة والتابعين ، الذين

منعوا من دعائه، والدعاء عنده، ودعاء الأقارب، والأولياء، وطلبهم.

وقوله : استغفر لنا ، لو كان ممكناً ، أو مشروعاً ، لجاء إليه الصحابة بعد موته ﷺ، وسألوه أن يستغفر لهم ، كما أمرهم الله بذلك في كتابه ، قال : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول** ﴾ وحيث لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ، ويقول : يا رسول الله ، فعلت كذا ، استغفر الله ، فاستغفر لي ؛ علمنا قطعاً ، أن ذلك في حياته ﷺ ؛ أتظن أن أولئك عطلوا الواجب ؟ الذي ذم الله من يتخلف عنه ، ووفق له الدعاة إلى الشرك ؟! حاشا وكلا .

وهذا المعترض : لا يفرق بين حياة الأنبياء ، والشهداء ، بعد الموت ، وحياتهم في الدنيا ، ولذلك نفى الموت ، والله يقول : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ والحياة البرزخية ، تجامع الموت ، ولا تنافيه ؛ ولو ثبت الأثر لكانوا أسبق إليه منه ؛ وإنما هو مرسل ، رواه ابن سعد في كتابه ، وليس من دواوين السنة المشهورة ، التي هي مرجع احتجاج العلماء المحققين .

وفي الصحيحين ، في الذين يذادون عن حوضه ﷺ، فأقول : أصحابي ؛ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ **وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم** ﴾ الآية .

وقوله : « **من صلى عليَّ** » **الحديث** ؛ لا يوجب حياته ﷺ كما

زعم ، ولا جواز دعائه مع الله عز وجل ؛ وتقدم قول : صنع الله الحلبي ، إن القول بالتصرف بعد الممات : أشنع ، وأبدع ، من القول بالتصرف في الحياة ، لقوله : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله » وما هو ، ونحوه : دال على انقطاع الحس ، والحركة من الميت ؛ وأن أرواحهم ممسكة ، وأعمالهم منقطعة ﴿ **أأنتم أعلم أم الله** ﴾ وهذا المعترض ، يقول : استغفر لنا ! وقد علم كمال شفقته ﷺ على أمته، فلو كان ممكناً بعد موته، أو مشروعاً، لرغبهم في ذلك، وحضهم عليه، ولبادر خير القرون إليه، ولما لم يرغب فيه، ولم يبادروا، علمنا علماً ضرورياً، أن الاستغفار بعد موته ﷺ ليس ممكناً، ولا مشروعاً؛ ومن قال ذلك، فقد خالف النقل، والعقل؛ ولو قدر، فقد نهي عن الاستغفار للمشركين.

قال الجزائري : فلولا سيدنا محمد ﷺ ما خلق الله أرضاً ، ولا سماء ، ولا جنة ، ولا ناراً ، وقد قال ﷺ أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر .

والجواب أن نقول :

قد أخبر الله عز وجل ، عن حكمته في خلق هذه المخلوقات ، وأنه خلقها للحكم التي نوه بها في كتابه ، قال تعالى : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً** ﴾، ﴿ **وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة**

أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ وقال في الجنة ﴿ أعدت للمتقين ﴾ وفي النار : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ ويمكن أن يفسر بوجه صحيح ، كقوله : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ﴾ وأمثالها : التي يبين فيها : أنه خلق المخلوقات لبني آدم ؛ ومعلوم : أن لله فيها حكماً عظيمة غير ذلك، ولكن يبين ما لبني آدم فيها من المنفعة.

وإذا كان الإنسان ، هو خاتم المخلوقات، وآخرها، وهو الجامع لما فيها، ومحمد ﷺ هو إنسان هذا العين، وقطب هذه الرحى ، كان كأنه غاية الغايات في المخلوقات، فما ينكر أن يقال: إنه لأجله خلقت جميعها، وأنه لولاه لما خلقت، فإذا فسر هذا الكلام، ونحوه بما يدل عليه الكتاب، والسنة، قبل ذلك.

وأما إذا حصل في ذلك غلو ، من جنس غلو النصارى ، بإشراك بعض المخلوقات ، في شيء من الربوبية ، أو الألوهية ، كان ذلك مردوداً ، فلو قدر : أن لولاه ، لما خلق هذه المخلوقات ، لم يصح دليلاً على جواز عبادته مع الله ؛ وزبدة رسالته ﷺ: في النهي عن ذلك ، وتكفير فاعله .

وقوله : وقد قال ﷺ أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، جزم به عن النبي ﷺ ولم يذكره بإسناد ، ولم يعزه إلى شيء من الكتب المعتمدة ، ولا أصل له فيها ، فسقط الاحتجاج به ؛ ولو قدر ثبوته ، فليس فيه حجة على جواز سؤال رسول الله ﷺ،

والاستغاثة به بعد موته ، وهو حديث موضوع ، مكذوب على رسول الله ﷺ، مخالف لصريح الكتاب والسنة : أن أول ما خلق الله العرش ، والماء ، والقلم ، الذي كتب به مقادير الخلق ، قبل خلق السموات والأرض ، بخمسين ألف سنة ، مناقض لها ، لا يوجد في شيء من الكتب المعتمدة .

وإنما يوجد مثله ، في الكتب المصنفة ، في شرح الخصائص ، والشمائل ، وفي بعض الكتب ، كما يذكر مثل ذلك أبو نعيم ، وابن عساكر ، وأبو حامد الغزالي ، وابن أبي الدنيا ، في جزء التفكر والإعتبار ، من الأحاديث الموضوعة المكذوبة ، وما كان هذا سبيله ، لا يلتفت إليه ، فضلاً عن أن يعارض به الكتاب والسنة ؛ وهذه : حرفة نصرانية ، يحتجون على دعاء عيسى ، وعبادته ، وإلهيته ، بنحو هذه الحجج ، ولا حاجة بأهل الإسلام ، إلى شيء مما يتعلق بخصائص النبي ﷺ وشمائله وفضائله ، من هذه الموضوعات .

وفيما ذكره أهل العلم بالله ، من حملة السنة ، والكتاب ، وأهل الحفظ ، من خصائص النبي ﷺ وفضائله ، ومعجزاته ، وشمائله ، مما صح الخبر به عن النبي ﷺ، كحديث « أعطيت خمساً ، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي » وحديث « إن الله قد اتخذني خليلاً » وغيرهما من الأحاديث الصحيحة ، مقنع عما يذكره هؤلاء ، وأمثالهم من الأكاذيب الموضوعة ، والأحاديث

المصنوعة ، المخالفة للكتاب والسنة .

وله ﷺ من الفضائل ، والمعجزات ، والخصائص ، والشمائل ، ما ليس لغيره من الأنبياء ، ما لا يحصى ؛ ولكنها : لا ترفعه إلى رتبة الربوبية ، ولا توجب : أن يدعى ، ويستغاث به ، وتطلب منه الشفاعة بعد موته ﷺ .

قال الجزائري : نعم هؤلاء العلماء ، الذين مدحوا النبي ﷺ نظماً، ونثراً، كما قلت، ولم يجعلوه، إلهاً، وقد قال البوصيري :

دع ما ادعته النصارى في نبيهمُ   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

ولم يدع أحد ، في مشارق الأرض ومغاربها : أن محمد بن عبد الله ، إله يستحق العبادة ، أو ابن الله .

والجواب : أن الذي ذكرتُ أنهم غلوا في النبي ﷺ واتخذوه إلهاً ، وصرفوا له خالص العبادة ، ظاهر من كلامهم ، لا يمتري فيه عاقل ، وليسوا من العلماء المقتدى بهم ، كما زعمت .

وقولك : ولم يجعلوه إلهاً ، مع فساده عقلاً وشرعاً ، ومخالفته نصوصهم في ذلك ، من حيل أهل الضلال ، والبدع ، ليصرفوا قلوب الجهال ، عن قبول الكتاب والسنة ، ويدعوهم إلى بدعتهم ، التي غرقوا فيها ؛ وهي : الغلو في الأنبياء ، والصالحين ، وعبادتهم مع الله ؛ ويسمون عبادتهم إياهم ، باسم التوسل ، والتشفع ، تمويهاً ، وتشكيكاً ، وتزييناً للباطل ؛ وإلا فهي عبادة لهم مع الله ؛ والأسماء لا تغير الحقائق .

ومن أعرض عن الكتاب والسنة ، ولم يقبل هدى الله ، الذي جاء من عنده ، على لسان رسوله ﷺ وصار عمدته ، ومستنده ، زخارف أهل الغلو ، وجعلها آلة ، يدفع بها في صدر النصوص ، امتنع عليه معرفة الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، وعبادة الله ، من عبادة غيره . ولم يمنعه مانع ، من عقائد أهل الكفر بالله ، وقلبها في قوالب التوسل ، ليصرف الحقائق عن أصولها ، ويضل عن سبيل الله بغير علم .

وتقدم معنى الإله ، وأنه : ما تألهه القلوب ، بالمحبة ، والرجاء ، والخشية ، والرغبة ، والرهبة ، وغير ذلك ؛ والذين مدحوا النبي ﷺ غلوا فيه ، واتخذوه إلهاً ، بصرف الرغبة ، والرهبة ، والالتجاء إليه ، والذل والخضوع له ، والاستغاثة به ، وطلب الشفاعة منه ، كما كان المشركون يعبدون آلهتهم مع الله ؛ وأثبت الله ذلك بقوله : ﴿ **واتخذوا من دونه آلهة** ﴾ .

ولكن هذا المعترض ، لما نبذ كتاب الله وراء ظهره ، وصار يعارضه بالتمويهات ، والترهات ، غلب عليه الباطل ، كحال أكثر الخلق ، فأنكر الحقائق ، أو اختار الكفر على الإسلام ، والعياذ بالله ، يحققه : استدلاله على جواز عبادة رسول الله ﷺ بقول شاعر ، أفرط في أبياته ، غاية الإفراط ، وجاء فيها من المجازفة العظيمة ، ما ينافي ما بعث الله به رسوله ﷺ من توحيد الله بالعبادة ، الذي اتفقت عليه دعوة الرسل ؛ من ذلك قوله :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به　　سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي　　فضلاً ، وإلا فقل : يا زلة القدم

أسند طلب النجاة ، الذي هو حقيقة التأله ، والعبادة ، بلا مرية ، إلى الرسول ﷺ دون من له ملك السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ، وعنده ثواب الدنيا والآخرة ، الذي يأذن في الشفاعة ، لأهل التوحيد خاصة ، ويمنعها من طلبها من غيره ، قال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ بل لم يدع هذا الشاعر للخالق جل وعلا ، ما يجود به ، ولا ما يعلمه ، حيث قال :

فإن من جودك الدنيا وضرتها　　ومن علومك علم اللوح والقلم

وقد قال الله تعالى : ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾ وقال : ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** ﴾ وهذا الشاعر يقول : لرسول الله ﷺ ! وقد قال الله في حقه : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ بل قد تهور ، فإن صريحه : دعاء مضطر محتاج ، في فاقة وفقر ، لا ملجأ له ، ولا ملاذ ، ولا مفزع ، سوى رسول الله ﷺ الذي الدنيا والآخرة من جوده وفضله ! وعلم اللوح والقلم ، من علمه ! .

لا : بل سقط على أم رأسه ؛ فإن هذا الدعاء ، يقتضي : إثبات قدرة تامة ، وعلم عام ، وسمع محيط ، وملك مطلق ؛ وإلا فهو: مكابر، ملبوس عليه، أو كالمجنون المغلوب على عقله، ومن جملة من يقول: أسقط الربوبية! وقل في الرسول ما شئت! ومن يقول:

نحن نعبد الله ورسوله! ومن يقول اغفر لي: وارحمني، ولا توقفني على زلة، وأمثال هذه الأمور البشعة، الشنيعة، التي يتخذون الرسول بها معبوداً، وإلهاً مع الله، مضادة لقوله ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» وقوله: «إنه لا يستغاث بي؛ وإنما يستغاث بالله».

بل تكذيب، وكفر بقوله تعالى: ﴿ **ولا تدع مع الله إلهاً آخر** ﴾، ﴿ **ولا تدع من دون الله** ﴾ وغيرها، وخاطب به نبيه ﷺ ليكون أبلغ في التحذير: فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه يرضى أن يفعل ذلك أحد معه، أو مع غيره، وهو ينهى عنه، ويذكر الوعيد عليه بالخلود في النار ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك** ﴾.

واستدلال هذا المعترض، بقول البوصيري، ينبىء أنه: لا خبرة له بشيء من أنواع البحث، والمناظرة أصلاً؛ وأنه موكس في الكفر والكافرين، الداعين إلى الشرك برب العالمين، فإنه أسس فيه ما ينقض عليه، فإن أنواع الغلو كثيرة، والشرك بحر لا ساحل له، ولا ينحصر في قول النصارى في المسيح، لأن الأمم أشركوا قبلهم، بعبادة الأوثان، وأهل الجاهلية كذلك؛ وليس فيهم من قال في إلهه، ما قالت النصارى في المسيح غالباً، أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؛ بل كلهم معترفون أن آلهتهم ملك لله، لكن عبدوها مع الله، لاعتقادهم أنها تشفع لهم، أو تنفعهم.

فاحتجاج هذا الغبي الغوي ، وأمثاله من الجهلة المفتونين ، بهذه الأبيات ، وهو : أن في قوله في منظومته ، دع ما ادعته النصارى في نبيهم ، مخلص من الغلو ، جهل صرف ؛ فهو قد فتح ببيته هذا ، باب الغلو والشرك ، لاعتقاده بجهله ، أن الغلو مقصور على هذه الأقوال الثلاثة ، وأن من لم يقل في النبي ﷺ واحداً منها ، فقد وفاه حقه بكل قول يقوله بلا حد ؛ وإن عبده مع الله ، بأي نوع من أنواع العبادة ، دعاء ، أو استغاثة ، أو التجاء ، أو سجوداً ، أو ركوعاً ، أو صرف له ملك الدنيا والآخرة ، وعطل الله من ملكه ، وحقه الذي أوجبه على عباده ، من عبادته وحده .

وأنواع الغلو ، الذي فعله المشركون مع معبوديهم ، لا تنحصر ؛ فإذا أنزل المخلوق ، في منزلة الخالق ، في خصائص الإلهية ، كمغفرة الذنوب ، وهداية القلوب ، ودخول الجنة ، والنصر ، وغير ذلك مما يختص بمالك الملك ، تعالى ، وتقدس ، مما لا يشركه فيه غيره ، فقد غلا فيه ، وجعله إلهاً ، وأشرك به ، شاء أم أبى .

وقد مدح النبي ﷺ شعراء العرب الفصحاء ، ولم يقرب أحد منهم حول هذا الحمى ، الذي هو لله وحده ، بل مدحوه بالنبوة ، وبما خصه الله به ، من الفضائل ، والأخلاق الحميدة ، مثل حسان ، وكعب بن مالك ، وغيرهما ، فلم يورد هذا المعترض من ذلك شيئاً ، وعدل إلى شعر المولدين ، الملحدين ، لما تضمنه

من الشرك برب العالمين ، المنافي لما بعث الله به سيد المرسلين ، من توحيده ، وطاعته ، لجهله بالتوحيد ، وعداوته له ، فوقع فيما وقع فيه هذا الشاعر ، من تزيين الشرك بالله ، وورثه ، وجدد دعوته إلى الشرك ، وخاصم الله في عبادته ، ومن خاصم الله خصمه .

فقد أظهر الله حججه على من أشرك به ، حججاً قاطعة ، قالعة للشرك ، وبين أنهم لا حجة لهم على ما اختلقوه ، وأسجل على كفرهم ؛ واحتجاجه بما نقل عن البوصيري ، صريح في أنه يقول به ، والقول به كفر صريح ، برهانه : نصوص الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

وقوله : ولم يدَّع أحد ، أنه ﷺ يستحق العبادة .

نعم : لا يستحق العبادة ﷺ هو ، ولا غيره من المخلوقين المربوبين ؛ وفي الصحيحين أنه قال : « إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال الله تعالى في حقه : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً** ﴾ وإنما يستحقها العلي الكبير جل وعلا ؛ ولكن أنتم أشركتموه مع الله في عبادته ، ولجأتم إليه ، واستغثتم به ، وطلبتموه الشفاعة ؛ بل صرفتم له خالص العبادة ، ومنحها ، وطلبتم منه ما لا يقدر عليه ، وليس في وسعه ، ولا من حقه ، وإنما هو لله عز وجل .

ولما أشركتموه مع الله في عبادته ، قلنا لكم عبدتموه ، وجعلتم فيه نوعاً من الإلهية ، سواء اعتقدتم ذلك ، أو لم تعتقدوه ، أو قلتم أنه مستحق للعبادة ، أو غير مستحق لها ، وما أنكرتموه ، هو لازم ما فعلتم ، بفرط جهلكم ، وسوء تصوركم .

قال الجزائري : ولكن الله ابتلى المسلمين بالخوارج ، الذين يحملون الآيات النازلة في الكفار ، على المسلمين ، ويتشدقون بذلك ، وقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما ، عن خوارج زمانه ؛ فقال : هم شر الخلق والخليقة ، ومن المعلوم ضرورة : أن كل من يحمل الآيات ، النازلة في الكفار ، على المسلمين ، فهو خارجي ، ويجري عليه حكم ابن عمر رضي الله عنهما .

والجواب ، أن يقال : قول هذا المعترض كذب وافتراء ، أصدره لشكه في الدين ، وانحرافه عن سبيل المؤمنين ، وإلا فأهل هذه الدعوة الإسلامية ، ومجددوا الملة الحنيفية ، الذين تصديت لسبهم ، وتكفيرهم ، لم يحملوا الآيات النازلة في حق الكفار ، على المسلمين ؛ هذه كتبهم موجودة مشهورة ، ورسائلهم طافحة بالدعوة ، إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ، وما عليه سلف الأمة ، وترك ما كان يعبد من دون الله ، من نبي أو ولي ، أو شجر ، أو حجر ، أو غيرها .

وهذه الشبهة : هي التي أوردها علماء الضلال ، الدعاة إلى الشرك ، على علماء نجد ، لما دعوا الناس إلى عبادة الله وحده ،

ونهوهم عن عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ؛ ولا ينكر هذا الاعتقاد ، إلا مشرك بالله ، يعتقد الشرك ديناً ، كهذا المعترض ، الداعية إلى الشرك بالله ، فقال بقولهم سواء .

وقد رد عليهم ، أئمة هذه الدعوة الإسلامية ، وأبطلوا شبههم ، بالآيات المحكمات ، البينات ، الواضحات ، وبالسنة الصحيحة ، الصريحة ؛ وبالعقل ، والفطرة ، وبينوا بالأدلة والبراهين القاطعة : أن الذي يفعله أولئك ، وغيرهم ، من عبادة الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ، هو الشرك الأكبر ، الذي لا يغفره الله ؛ وبينوا أن الذي دهى هؤلاء ، وصدفهم عن معرفة الدين ، الذي بعث الله به المرسلين ، هو : عدم معرفتهم للتوحيد ، وجهلهم بالشرك ، والتنديد ، فأبطل الله ما أورده الضالون من الشبهات .

وأظهر الله ـ وله الحمد والمنة ـ هذه الدعوة ، وقبلها من أراد الله هدايته ، وهم الخلق الكثير ، والجم الغفير ، واعترفوا بها ، وانتشرت في هذه الأعصار ، ونفع الله بها أناساً من أهل الأقطار ، واطمأنت بها القلوب ، وانشرحت لها الصدور ، وعرفت أنها الدعوة الحقة ، التي يؤيدها الكتاب ، والسنة ، وأنها ، هي ما كان عليه السلف الصالح ، حتى جمعية المسلمين ، في جهة هذا المعترض ، شهدوا بذلك ، ودعوا إلى ما دعوا إليه .

ولكن : إذا اجتمع الجهل ، والهوى ، واستحكمت أسباب

الهلاك ، والردى ، وأحاطت بصاحبها ، موجبات الضلال ، والشقاء ، لم يتصور المغبون ، حقيقة الإسلام ، والتوحيد ؛ ولم يعرف الشرك ، والتنديد ؛ بل ظن أن الإسلام : مجرد قول ، بلا معرفة ، ولا اعتقاد ؛ وأن القرآن لا يتعلق إلا بمن نزل بسببهم ، وأن حكمه انقطع ، وكذا حكم الرسالة .

وإلا فمن هو الذي منع تنزيل القرآن ، وما دل عليه من الأحكام ، على الأشخاص ، والحوادث ، التي تدخل تحت العموم اللفظي ؟! ومن قال من الأئمة : إن خطاب الله في كتابه ، وخطاب رسوله ﷺ في سنته ، إنما يتعلق بمن نزل بسببهم ، دون غيرهم ؟! حاشا ؛ هذا لا يقوله، إلا أبلد الناس ،وأجهلهم بالشريعة ، وأحكامها؛ بل لا يتجاسر ، أن يقول ذلك أحد ، ممن يجادل بالباطل ، صوناً لنفسه عن التجهيل ، والتضليل .

لأن هذا على الجهالة ، والضلالة، أبين دليل ؛ ولما يلزم قائله ، من تعطيل الشريعة ، وإنكار عموم الرسالة ، والطعن على الصحابة ، ومن بعدهم ، في قتال المرتدين ، بل قول من يقول : إن الآيات نزلت بحكم المشركين الأولين ؛ فلا تتناول من فعل فعلهم ، كفر عظيم ، وإلحاد وخيم ، مع أن قائله ، ثور مرتكس في الجهل .

فهل يقول أحد : إن الحدود المذكورة في القرآن ، والسنة ، لأناس كانوا ، وانقرضوا ؟! وانقطع حكم الرسالة ؟! فيبقى الناس

فوضى ! وبطلت حجج الله على خلقه ، فلا يقتل المرتد ، ولا يحد الزاني ، ولا تقطع يد السارق ، ونحو ذلك ! . أفيقول عاقل : إن المخاطبين بالصلاة ، والزكاة وسائر شرائع الإسلام ، انقرضوا ؟! وبطل حكم القرآن ! كما قال هذا المعترض ، وزعم أن من دعا مع الله إلهاً آخر ، لا يكفر ، ومن كفره ، فقد كفر المسلمين ! .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾، ﴿ **ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ فهو ﷺ خاتم النبيين ، أنزل الله عليه ﴿ **الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾، ﴿ **ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** ﴾ من حين البعثة ، إلى أن تقوم الساعة ، بإجماع المسلمين .

وفي الصحيح : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك » وحتى أن المسيح عيسى ابن مريم ، إذا نزل في آخر الزمان ، يحكم بشرعة محمد ﷺ .

وبهذا وأمثاله ، يعلم : أن خطاب الله ، وأحكام السنة ، تتعلق بجميع المكلفين ، من هذه الأمة ، لا يختص به أول عن آخر ، ولا أحمرُ عن أسود ، ولا يهودي عن سني ، ولا نصراني ، ولا غيرهم من أجناس بني آدم ، وأجناس الجن .

وقال عليه السلام : « والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي

يهودي ، ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي ، إلا دخل النار »، ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾، ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن** ﴾ الآية ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾ ولا يكون كذلك، إلّا إذا كان خاتماً للأديان، عاماً لجميع الثقلين؛ وهذا حكم من الله ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾.

ومع ظهور هذا من الكتاب والسنة ، فهو إجماع قطعي ؛ ولكن لشدة جهل هذا المعترض ، وعداوته للدين ، وعدم تصوره : إنكار إلحاق المشركين ، في هذه الأزمان ، بالمشركين الأولين ، منع إعطاء النظير نظيره ، وإجراء الحكم مع علته ؛ وزعم أن من عبد مع الله إلهاً آخراً ، من نبي ، أو غيره ، مسلم من الأمة الموحدة المحمدية، وأن دعوى الإسلام، تكفي في الحكم بالإسلام .

بل الأمة المحمدية ، في عرفه : من جعل مع الله إلهاً آخر ، من الأنبياء، والصالحين، وغيرهم! ومن أخلص العبادة لله، ودعا إلى ذلك، فهو من الخوارج، المكفرين بالذنوب ! قد ابتلى الله المسلمين بهم !. فأضحك العقلاء ، وأظهر للناس جهله ، وبعده عما جاءت به الرسل ، وتخبطه في ظلمات ، بعضها فوق بعض ، واختياره الشرك ، وعبادة غير الله ، على الإسلام ، وعبادة الله ؛ والدعوة إلى الشرك ، وتزيينه

للناس ، على التوحيد ؛ فأبعده الله ، ما أعماه ! وأصماه ! وأشقاه ! .

وقد اشتهر عن أهل هذه الدعوة : أنهم إنما يكفرون بالشرك بالله ، وعبادة غيره ، واتخاذ الوسائط ، والأنداد في المسألة ، والإنابة ، والاستغاثة ، وغير ذلك ، مما التكفير به صريح الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ؛ وانتشر واعترف بصحته العلماء ، والعقلاء ، وأدحض الله شبه من نازعهم ، بالشهادة منهم ؛ وهم أبعد الناس عن مشابهة الخوارج ، وغيرهم ، من أهل البدع ؛ ولو عقل ما خرج من لسانه ، لعرف أنه الأشبه بهم .

وقوله : ويتشدقون بذلك ؛ شدة هيجان غيظ وحقد ، لمن دعا إلى الله وإلى إفراده بالعبادة ، وظاهر استهزاء وبراءة ما يوردونه ، من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

ولا شك في كفر من قصد ذلك ؛ وقد اشتهر استدلالهم بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة ، وأكثر ذلك في إفراد الله بالعبادة ، ومنه ما أوردناه في المقالة التي ردها ؛ فأي جهل ، وكذب ، ومكابرة ، ورد ، وجحد للنصوص ، واستهزاء ، أعظم من هذا ! فنعوذ بالله من الجهل والعمى ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ بل إنكار ما أوردوه ، من وجوب إفراد الله بالعبادة ، وكفر من أشرك بالله ، مكابرة ظاهرة ، وكفر ،

واتباع غير سبيل المؤمنين قال تعالى : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف ، يؤفك عنه من أفك ، قتل الخراصون** ﴾ الآيات .

ففي هذه الآيات ، وأمثالها : من وصف هذا المعترض ، وأنه في غمرة الهوى ، والجهل ، لم يحصل له ، إلا مجرد خرص ، وحدس ؛ بل وسب ، وعيب ، وثلب ، واستهزاء ، أعظم ممن قال الله فيهم : ﴿ **أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ ولما أفلس ، وضاق عطنه ، استراح إلى المسبة ، قال أبو حيان ، فيما كتبه في الرد على الزمخشري :

ويشتم أعـلام الأئمـة ضلة ولا سيما أن أوردوه المضائقا

وجل بضاعته الكذب على الله ، وعلى رسله ، وعلى علماء المسلمين ، وساداتهم ، ومن هذه بضاعته ، فهو أكثر الناس غبناً ، وأعظمهم خسراناً ، والله المستعان .

وقوله : وقد سئل عنهم ابن عمر ، فقال : هم شر الخلق ، والخليقة . . إلخ .

فنقول : لا يكون من الخوارج ، وعلى مذهبهم ، إلا من يستن بسنتهم ، ويسلك مسلكهم ، من قتل أهل الإسلام ، وترك أهل الأوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ، وإباحة دمه ، وماله ، وأهله ، وأن عثمان ، وعلياً ، وأصحاب الجمل ، وصفين ، وكل من رضي بالتحكيم ، كفار ؛ وأن من أتى كبيرة ،

فهو كافر ، مخلد في النار أبداً . وأن من لم يخرج ويحارب المسلمين ، فهو كافر ، ولو اعتقد معتقدهم ، وإبطال رجم المحصن ، وقطع يد السارق من الإبط ، وإيجاب الصلاة على الحائض ، في حال حيضها ، وكفر من ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، سواء كان قادراً، أو لا ، فقد ارتكب كبيرة ، وحكم من ارتكب كبيرة عندهم ، حكم الكافر ، وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائفة .

إذا عرفت هذا : فأهل هذه الدعوة ، مخالفون للخوارج ، في جميع ما خالفوا به أهل السنة والجماعة ، لا يعتقدون من عقائد الخوارج ، ولا يعملون شيئاً من أعمالهم ، بل مذهبهم قد عرف ، واشتهر ، واستفاض من دعوتهم ، ومراسلاتهم ، ومصنفاتهم ، المسموعة المقروءة ، الملموسة ، وتقاريرهم في أصول الدين وفروعه ، وأنه مذهب أهل السنة والجماعة ، وأن طريقتهم طريقة السلف ، التي هي الأسلم ، والأعلم ، والأحكم .

قرروا هذا التوحيد بأدلته ، وصنفوا الكتب في بيانه ، وبعثوا الرسائل في الدعوة إليه ، والنهي عن ضده ؛ وقد جمعت ، وبلغت مجلدات ، فرضي الله عنهم ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً ، حيث عرفوا التوحيد ، حين جهله أكثر الناس ، ووضحوه ، وبينوه ، حتى عرفه العام والخاص ، وقامت الحجة ، ووضحت المحجة .

ونهوا عن الشرك ، وبينوه ، ووضحوا أنواعه ، ووسائله ، وما ابتليت به هذه الأمة منه ، وتلطخت بـه ، وانهمكت فيه ؛ وأنه هو شرك المشركين ، الذي أباح دماءهم ، وأموالهم ، بل وأن أصل شرك العالم : عبادة الأنبياء، والصالحين ، والقبـور، وغيرها ، والذبح لها ، والنذر لها ، والطواف بها ، والعكوف عندها ، واتخاذها مساجد ، وأنه لا فرق بين ما عليه عباد القبور اليوم ، وبين ما وقع في قوم نوح .

وقـد سبق هـذا المعتـرض : أضـرابـه من عبـاد القبـور والصالحين ، في عصر الشيخ ، وقبله بقرون ، من نسبوا أهل السنة والتوحيد ، إلى بدعة الخوارج ، فالداء قديم ، ورثه هذا وأمثاله ، عن الغلاة في عبادة الصالحين ﴿ **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم** ﴾ .

ومن شبههم بالخوارج ، فقـد كذب عليهم ، وافتـرى ، ليصرف الناس عن قبول هذا الدين ، طاعة لابليس اللعين ، فقد صدَّ بذلك أمماً ، فلم يفرقوا بين ما كفرت به الرسل ، وأتباعهم ، وما كفرت به الخوارج وأشياعهم .

وقد اتضح ـ ولله الحمد والمنة ـ معتقد أهل هذه الدعوة ، ومذهبهم ، وأنه هو معتقد ، ومذهب ، أهل السنة والجماعة ، وأن طريقتهم ؛ هي طريقة الكتاب والسنة ، فلا ينكر ذلك إلا مشرك بالله ، كافر بكتابه ، ورسولـه، يعتقد الشرك ، ويراه ديناً ، بل

قولهم في التوحيد ، مما أجمعت عليه الرسل ، واتفقت عليه الكتب ، كما يعلم ذلك من عرف ما قاموا به ، ولا يكفرون إلا على هذا الأصل ، بعد قيام الحجة المعتبرة ، على من أتى المكفر ؛ فهم في ذلك على صراط مستقيم ، لا يكابر في رد ما دعوا إليه ، إلا جاهل ، لا يدري ما الناس فيه ، من أمر دينهم ، وما جاءت به الرسل .

ونقول لهذا المعترض : هؤلاء الذين ذكرت ، إن الله ابتلى المسلمين بهم ، وإنهم خوارج ؛ واستدللت بقول ابن عمر عليهم ، أهم يكفرون بالذنوب التي دون الشرك ؟ أم يكفرون من دعا الأنبياء ، والصالحين ، وغيرهم ؟ وسألهم جلب الفوائد ، وكشف الشدائد ، واستغاث بهم في الملمات ، وطلب منهم الشفاعة ، وجعلهم واسطة بينه وبين الله ، في حاجاته ، وملماته الدينية ، والدنيوية ؛ فإن اعترف ، بأن النزاع في هذا ، فقد خصم ، وانهزم ، ونادى على نفسه بالكذب ، والخطأ ، ونسبتهم إلى ما هم براء منه ، ونزههم الله عنه .

وإن أنكر ، وقال : النزاع فيما دون هذا ؛ طولب ببيانه ، مع أن الحال ، والدعوة ، والحس ، وردَّ هذا علينا بكذبه : يرد عليه لو أنكر ؛ لوضوح : أن النزاع ، والخصومة بينهم ، وبين أعدائهم ، وبيننا وبينه ، إنما هو في دعاء غير الله ، وعبادة سواه ، والاعتماد ، والتوكل ، والالتجاء على الشركاء ، والأنداد ؛

والاستغاثة ، والاستعانة بهم ، وغير ذلك من خالص العبادة ، التي لا يستحقها إلا الله عز وجل ؛ وهذا النزاع ، والخصومة ، هو : ما جرى بين الرسل ، وبين أعدائهم ، وما أحسن ما قاله بعض العلماء ، فيما يشبه هذا المعترض :

يغالب أمر الله ، والله غالب ... ويندب من لا يملك الرفع والحطا
ويرجو من المخلوق غوثاً ونصرة ... يناديه من بعد أغثنا بلا ابطا
لئن كان يدعوه لتفريج كربة ... فليس سوى الرحمن ندعوه بلا استبطا
فبشراه بالخسران والذل أن سعى ... يهدم لهذا الدين أو وافق الضغطا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم ... وعن وصفهم بالكفر لكنه الأخطا
يكفر قوماً بالكتاب تمسكوا ... وبالهدي والإجماع ما خالف الشرطا
وما عمموا بالكفر، بل خصصوا به ... أناساً من الاشراك أعمالهم حبطا
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا ... إلى الله والتقوى وإسلام من شطا
لينظر ذوو الأحلام والعلم والتقى ... إلى أي قوم في الهدى اتبعوا الخطا
وبرهانه العقلي نصرة أهله ... وتمكينهم في الأرض أكرم بهم رهطا

قال قتادة : عن أول حال هذه الأمة : إن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ؛ أنكر ذلك المشركون ، وكبرت عليهم ، وضاق بها إبليس وجنوده ، فأبى الله إلا أن يمضيها ، ويظهرها ، ويفلجها ، وينصرها ، على من ناوأها ، إنها كلمة : من خاصم بها فلج ؛ ومن قاتل بها ، نصر ؛ إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة ، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ، ويسير الدهر في فئام من

الناس ، لا يعرفونها ، ولا يقرون بها . وأهل نجد ـ ولله الحمد ـ هم المتمسكون بها اليوم ، وغيرهم ـ إلا من شاء الله ـ من أهل الأقطار ، والأمصار : إنما يقولونها بأفواههم ، ويخالفونها بأهوائهم ، فيقولون : لا إله إلا الله ؛ وهم يدعون غير الله !.

وقد كان أهل نجد ، قبل شيخ الإسلام ، محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له الأجر والثواب ، يعبدون الأوثان ، فأظهره الله في القرن الثاني عشر ، فجدد ما درس من أصول الدين ، ودعا إلى ما دعت إليه الرسل ، من توحيد الله وعبادته ، ونهى عن الشرك ، ووسائله ، وذرائعه ؛ وناضل أشد النضال ؛ فأعاد نشأة الإسلام ، كما كانت .

ولم تكن في قطر من الأقطار اليوم ، مثلها في نجد ، أئمة ، ودعوة ، وولاية ، وتجريداً للتوحيد ، ونفياً للشرك ، ولأهل الشرك والتنديد ؛ وأمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر ، وإقامة للحدود ، وتحكيماً للشريعة ، يعرف ذلك ، من عرف دين الإسلام ، وطاف البلاد ، وسبر أحوال العباد .

وعقيدتهم : عقيدة الفرقة الناجية ، أهل السنة ، والجماعة ، من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر ، خيره وشره ، والإيمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولا تعطيل ،ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، فإنه سبحانه : ﴿ ليس

كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأن القرآن : كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على رسوله ﷺ ؛ وأن الله : ﴿ فعال لما يريد ﴾ ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ؛ والإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ عما كان ، وما يكون ، كفتنة القبر ، ونعيمه ، وإعادة الأرواح ، ونصب الموازين ، وبحوض النبي ﷺ وشفاعته ، إلى غير ذلك ، مما عليه أهل السنة ، والجماعة .

وفي الجملة : فهم متمسكون بكتاب الله ، وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ ويعملون به ، ويتركون ما خالف الكتاب والسنة ، ويعملون بما كان عليه سلف الأمة ، وأئمتها ، ولا يحدثون في دين الله ، ما لم يشرعه الله ورسوله ، ولو جهد أعداء الله ، ممن خالف أهل هذه الدعوة ، أن يستدركوا عليهم ، في أصول الدين ، وفروعه ، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ ، ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

ومع كثرة خصومهم ، وتعدد آرائهم، وكثرة شبهاتهم ، وشدة عداوتهم : لم ينهض لهم شبهة ، ولم يقم لهم ترهة ، لأنهم سلكوا عقيدة ساقطة البنيان ، وطريقة قابلة للطعن ، والشكوك ، والبطلان، ومفاوز مهلكة، لا طريق للنجاة، منها ولا فكاك من الخذلان ، ولأنهم إنما يجادلون بالباطل ، ليدحضوا به الحق ، ويتخذوا آيات الله ، والداعين إلى دينه هزواً ، فرجعوا بغيظهم ،

لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين ، وأظهرهم على عدوهم ، بالحجة ، واللسان ، والسيف ، والسنان .

وأدحضت شبهات أولئك ، وافتضحوا بترهاتهم ، وتمويهاتهم ، ودجلهم ؛ وانكشفت سوءاتهم ، وبان شركهم ، وظهرت وانتشرت هذه الدعوة ، واشتهرت ، وظهر أنها الحقة النقية الخالصة ، لتمسكهم بعروة لا تنفصم ، وحبل لا ينقطع ، وحجة لا مغمز فيها ، ولا يعتريها وهن ، ولا فتور .

ومن استقرأ ما جرى لهم ، من النصر ، والتأييد ، والظهور ، على قلتهم ، وقلة أسبابهم ، وكثرة عدوهم ، وقوته ، علم أن ما قاموا به ، في حال فساد الزمان ، هو الدين القويم ، الذي بعث الله به الرسل ؛ وتبين له : أن هذه الطائفة ، في هذه الأزمنة ، هي الطائفة المذكورة ، في قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة » فلقد جرى ما يدل على صدقهم ، وشاع فضلهم ، واشتهر علمهم ، وشهد بذلك أهل التحقيق ، من أهل القرى ، والأمصار ، وأنهم على الدين القويم ، البريء من شبه الملحدين ، وغلو الزائغين ، وتفريط المقصرين ؛ وأنهم : هم القائمون بما جاء به سيد المرسلين .

وشهدوا بفضل مجددها ، وأنه : المصلح الأكبر ، كما تواتر عن علماء مصر ، والشام ، واليمن ، والمشرق ، والمغرب ، والحرمين ، وفضلائهم ، وأذكيائهم ، واشتهر مدحه ، والثناء عليه

عنهم ، حتى شهد أعداؤه بذلك ، مما لو استقصيناه لبلغ مجلداً .

والشاهد المصدق : كتبه ، ورسائله ، ورسائل أهل دعوته ، فنذكر منها نزراً يسيراً ، ليطلع العاقل المنصف ، من هو البار الراشد ؟ أهم أهل هذه الدعوة ؟ أم هذا المعترض ؟! وأضرابه ، وهل كانوا يكفرون المسلمين ؟ كما رماهم به من كان في ضلال مبين .

ونبدأ برسالة الشيخ ، محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله إلى جهة المعترض ، أهل المغرب ، فإنه قال فيها :

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ وقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وقال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ فأخبر : أنه أكمل الدين ، وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا ، وترك البدع ، والتفرق ، والاختلاف ، فقال : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ الآية وقال : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه** ﴾ الآية .

والرسول ﷺ قد أخبر : أن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ؛ وذكر ما في الصحيحين : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ثم قال : إذا عرف هذا : فمعلوم ما قد عمت به البلوى ، من حوادث الأمور ، التي أعظمها الإشراك بالله ،

والتوجه إلى الموتى ، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات ؛ وكذلك التقرب إليهم ، بالنذور ، وذبائح القربان ، والاستغاثة بهم ، في كشف الشدائد ، وجلب الفوائد ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة ، التي لا تصلح إلا لله .

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، كصرف جميعها ، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ؛ ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، قال : ﴿ **فاعبد الله مخلصاً له الدين** ﴾ فأخبر أنه لا يرضى من الدين ، إلا ما كان خالصاً لوجهه ؛ وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة ، والأنبياء ، والصالحين ، ليقربوهم إلى الله زلفى ، ويشفعوا لهم عنده ؛ وأخبر أنه لا يهدي، من هو كاذب كفار ، فكذبهم في هذه الدعوى ، وكفرهم .

وقال : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ فأخبر أن من جعل بينه وبين الله ، وسائط ، يسألهم الشفاعة ، فقد عبدهم ، وأشرك بهم ؛ وذلك : أن الشفاعة كلها لله ، كما قال تعالى : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ؛ وقال : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً** ﴾.

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ وقال : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من**

دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ .

فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا ، إلا من الله ، كما قال تعالى : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين** ﴾ .

فإذا كان الرسول ﷺ، وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم ، فمن دونه ، تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، لا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخر ساجداً ، ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، ثم يحد له حداً ، فيدخلهم الجنة ؛ فكيف بغيره ، من الأنبياء، والأولياء ؛ وهذا الذي ذكرناه ، لا يخالف فيه أحد ، من علماء المسلمين ؛ بل : قد أجمع عليه السلف الصالح ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة ، وغيرهم ، ممن سلك سبيلهم ، ودرج على منهاجهم .

وأما ما صدر ، من سؤال الأنبياء ، والأولياء ، والشفاعة بعد موتهم ، وتعظيمهم قبورهم ، ببناء القباب عليها ، والسرج ، والصلاة عندها ، واتخاذها أعياداً ، وجعل السدنة والنذور لها ، فكل هذا من حوادث الأمور ، التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر

منها ، كما في الحديث عنه « لا تقوم الساعة ، حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأصنام » .

وهو ﷺ حمى جناب التوحيد ، أعظم حماية ، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك ، فنهى أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، من حديث جابر ؛ وثبت فيه أيضاً : أنه بعث علياً ، وأمره : أن لا يدع قبراً مشرفاً ، إلا سواه ، ولا تمثالاً ، إلا طمسه .

ولهذا قال غير واحد من العلماء : يجب هدم القبب ، المبنية على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسول ؛ فهذا هو الذي أوجب الاختلاف ، بيننا وبين الناس ، حتى آل بهم الأمر ، إلى أن كفرونا ، وقاتلونا ، واستحلوا دماءنا ، وأموالنا ، حتى نصرنا الله عليهم ، وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس إليه ، ونقاتلهم عليه ، بعد ما نقيم عليهم الحجة ، من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح ، من الأئمة ، ممتثلين قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، قاتلناه بالسيف ، والسنان ، كما قال تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ الآية .

وندعو الناس إلى إقامة الصلاة ، في الجماعات ، على الوجه

المشروع ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، كما قال تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ فهذا هو الذي نعتقد ، وندين الله به ، فمن عمل بذلك ، فهو أخونا المسلم ، له ما لنا ، وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً: أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته، لا تجتمع على ضلالة؛ وأنه: لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك، وصلّى الله على محمد.

وكتب إلى عالم من علماء المدينة ، سأله عن سبب الاختلاف ، الذي بينه وبين الناس ، فقال : ما اختلفنا في شيء ، من شرائع الإسلام ، من صلاة، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ؛ ولا في شيء من المحرمات ؛ والذي قلب الناس علينا ، الذي قلبهم على سيد ولد آدم ، وقلبهم على الرسل من قبله ﴿ **كلما جاء أمة رسولها كذبوه** ﴾ ومثل ما قال ورقة للنبي ﷺ : والله ما جاء أحد بمثل ما جئت به ، إلا عودي .

فرأس الأمر عندنا ، وأساسه : إخلاص الدين لله ، نقول : ما يدعى إلا الله ، ولا ينذر إلا له ، ولا يخاف خوف السر ، إلا من الله ، فمن جعل من هذا شيئاً لغير الله ، فنقول : هذا الشرك بالله ؛ وأورد الأدلة ، من الكتاب ، والسنة على ذلك ؛ وذكر : أن

أساس الأمر ، ورأسه ، ودعوة الرسل ، من أولهم إلى آخرهم : الأمر بعبادة الله ، وحده لا شريك له ؛ والنهي عن عبادة ما سواه .

ثم قال : فإن قال قائل : إنهم يكفرون بالعموم ، فنقول سبحانك ، هذا بهتان عظيم ؛ الذي نكفر : الذي يشهد أن التوحيد ، دين الله ، ورسوله ، وأن دعوة غير الله ، باطلة ، ثم بعد هذا ، يكفر أهل التوحيد ، ويسميهم خوارج ؛ ويتبين مع أهل القباب ، على أهل التـوحيـد .

ثم قال : يذكر لنا : أن عدوان الإسلام ، الذين ينفرون الناس عنه ، يزعمون أنا ننكر شفاعة رسول الله ﷺ وهو الشافع المشفع ، صاحب المقام المحمود ، نسأل الله : أن يشفعه فينا ، وأن يحشرنا تحت لوائه ، هذا اعتقادنا ، وهو الذي ، مشى عليه السلف الصالح ، والتابعون ، والأئمة ؛ وهم أحب الناس إلى نبيهم ، وأصدقهم في اتباعه ، وشرعه .

وكتب إلى رئيس بادية الشام ، وكان قد طلب منه أن يكتب إليه ، بسبب كذب أتاه ، من الأعداء ؛ قال : وأنا أذكر لك أمرين ، قبل أن أذكر لك ، صفة الدين .

الأول : إني أذكر لمن خالفني ، أن الواجب على الناس ، اتباع ما وصى به النبي ﷺ أمته ، وأقول لهم : الكتب عندكم ، انظروا فيها ، ولا تأخذوا من كلامي شيئاً ، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ فاتبعوه ، ولو خالف أكثر الناس .

والأمـر الثاني : أن هـذا الأمر ، الـذي أنكـروا علي ، وأبغضوني ، وعادوني من أجله ، إذا سألوا عنه ، كل عالم في الشام ، واليمن ، وغيرهما ، يقول : هذا هو الحق ، وهو دين الله ، ورسوله ، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني ، لأجل : أن الدولة ما يرضون ؛ وابن عبد الوهاب : أظهره لأن الحاكم في بلده ، ما أنكره ، بل لما عرف الحق اتبعه .

فأنت تفكر في الأمر الأول ، وهو : قولي ، لا تطيعوني ، ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم ؛ وتفكروا في الأمر الثاني : أن كل عاقل مقر به ، لكن لا يقدر أن يظهره ، فقدم لنفسك ، ما ينجيك عند الله .

واعلم أنه لا ينجيك ، إلا اتباع رسول الله ﷺ ، والدنيا زائلـة ؛ والجنة ، والنار ، ما ينبغي للعاقل ، أن ينساهما .

وصورة الأمر الصحيح ، أني أقول : لا يدعى إلا الله وحده ، لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ وقال ، في حق النبي ﷺ : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً** ﴾ فهذا كلام الله ، والذي ذكره لنا رسول الله ﷺ ووصانا به ، ونهى الناس ، لا يدعونه .

فلما ذكرت لهم : أن هذه المقامات ، التي في الشام ، والحرمين ، وغيرها ، على خلاف أمر الله ، ورسوله ، وأن دعوة الصالحين ، والتعلق عليهم ، هو : الشرك بالله ، الذي قال الله

فيه : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ .

فلما أظهرت هذا ، أنكروه ، وكبر عليهم ، وقالوا : جعلتنا مشركين ، وهذا ليس إشراكاً ؛ هذا كلامهم ؛ وهذا كلامي ، أسنده عن الله ، ورسوله ، وهذا : هو الذي بيننا وبينكم ، فإن ذكر شيء غير هذا ، فهو كذب وبهتان .

والذي يصدق كلامي ، هذا : أن العالم مايقدر يظهره ، حتى من علماء الشام ، من يقول : هذا هو الحق ، ولكن لا يظهره ، إلا من يحارب الدولة ؛ وأنت ـ ولله الحمد ـ ما تخاف إلا الله ؛ نسأل الله : أن يهدينا ، وإياكم ، إلى دين الله ، ورسوله ، والله أعلم .

وكتب إلى البكيلي ، صاحب اليمن ، وقد سأله عما هو عليه ، وما دعا الناس إليه ، فقال : أما ، ما نحن عليه ، من الدين ، فعلى دين الإسلام ، الذي قال الله فيه : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ وأما : ما دعونا الناس إليه ، فندعوهم إلى التوحيد ؛ وأما : ما ننهاهم عنه ، فعن الشرك ، وذكر الأدلة على ذلك ، من الكتاب ، والسنة .

ثم قال : وأما ما ذكرته ، من حقيقة الاجتهاد ، فنحن مقلدون ، للكتاب ، والسنة ، وصالحي سلف الأمة ، وما عليه الاعتماد ، من أقوال الأئمة الأربعة ، وذكر حقيقة الإيمان .

ثم قال : وما جئنا بشيء يخالف النقل ، ولا ينكره العقل ،

ولكنهم : يقولون ما لا يفعلون ؛ ونحن : نقول ، ونفعل ، نقاتل عباد الأوثان ، كما قاتلهم رسول الله ﷺ ونقاتلهم على تـرك الصلاة ، وعلى منع الزكاة ،كما قاتل مانِعَها، صدّيق هذه الأمة ، أبو بكر رضي الله عنه ، ولكن : ما هو إلا كما قال ورقة بن نوفل ، لرسول الله ﷺ ما أتى أحد بمثل ما جئت به ، إلا عودي ، وأوذي ، وأخرج ، والسلام .

وذكر ابنه الشيخ، عبد الله ، رحمهما الله تعالى ، شيئاً من معتقدهم ، فقال : لما دخلنا مكة المشرفـة ، جمعنا النـاس ضحوة ، وعرض الأمير على العلماء ، ما نطلب من الناس ، وما نقاتلهم عليه ، وهو : إخلاص العبادة لله وحده ، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف ، له وقع ، إلا في أمرين .

أحدهما : إخلاص التوحيد لله ، ومعرفة أنواع العبادة ، وأن الدعاء من جملتها ، وتحقيق معنى الشرك ، الذي قاتل الناس عليه نبينا ﷺ واستمر دعاؤ ه ، برهة من الزمان ، بعد النبوة .

والثاني : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، الذي لم يبق عندهم إلا اسمه ، وانمحى أثره ، ورسمه .

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه ؛ جملة ، وتفصيلاً ؛ إلى أن قال : وحلفوا لنا الأيمان المغلظة ، من دون استحلاف لهم ، على انشراح صدورهم ، وجزم ضمائرهم ، أنه لم يبق لديهم شك ، في أن من قال يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا

عبد القادر ، أو غيرهم ، من المخلوقين ، طالباً بذلك دفع شر ، أو جلب خير ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، من شفاء المريض ، والنصر على العدو ، والحفظ عن المكروه ، ونحو ذلك ، أنه مشرك شركاً أكبر ، يهدر دمه ، ويبيح ماله ، وإن كان يعتقد أن الفاعل المؤثر ، هو الله وحده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء ، مستشفعاً بهم ، ومتقرباً بهم ، لتقضي حاجته من الله بسرهم ، وشفاعتهم له ، أيام البرزخ .

وقال : هذه العبادات ، التي صرفها المشركون لآلهتهم ، هي أفعال العبد ، الصادرة منه ، كالحب ، والخضوع ، والإنابة ، والتوكل ، والدعاء ، والاستغاثة ، والاستعانة ، والخوف ، والرجاء ، والنسك ، وتعلق القلوب بفيضه ، ومده ، وإحسانه ، وكرمه ؛ فهذه الأنواع ، هي أشرف أنواع العبادة ، وأجلها ؛ بل هي : لب سائر الأعمال الإسلامية ، وخلاصتها ، وكل عمل يخلو منها ، فهو خداج ، مردود على صاحبه ، وإنما أشرك من أشرك ، وكفر من كفر ، من المشركين ، بقصد غير الله بهذا ، وتأهيله لذلك ؛ وذكر الأدلة .

ثم قال : فجنس هؤلاء المشركين ، وأمثالهم ، ممن يعبد الأولياء ، والصالحين ، نحكم بأنهم مشركون ، ونرى كفرهم ، إذا قامت عليهم الحجة الرسالية ، وما عدا هذا من الذنوب ، التي هي دونه في الرتبة ، والمفسدة ، لا نكفر بها ، ولا نحكم على

أحد ، من أهل القبلة ، الذين باينوا ، لعباد الأوثان ، والأصنام ، والقبور ، بكفر ، بمجرد ذنب ارتكبوه ، وعظيم جرم اجترحوه .

وغلاة الجهمية ، والقدرية ، والرافضة ، ونحوهم ، ممن كفرهم السلف ، لا نخرج فيهم ، عن أقوال أئمة الهدى ، والفتوى ، من سلف هذه الأمة ؛ ونبرأ إلى الله مما أتت به الخوارج ، وقالت به، في أهل الذنوب، من المسلمين.

ومجرد الإتيان بالشهادتين ، من غير علم بمعناها ، ولا عملٍ بمقتضاها ، لا يكون به المكلف مسلماً ، بل هو حجة على ابن آدم ، خلاف لمن زعم : أن الإيمان ، مجرد الإقرار ، كالكرامية ؛ ومجرد التصديق ، كالجهمية ؛ وقد أكذب الله المنافقين ، فيما أتوا به، وزعموه ، من الشهادة ؛ إلى أن قال ، وبهذا تعلم : أن مسمى الإيمان ، لا بد فيه ، من التصديق ، والعمل .

ومن شهد أن لا إله إلا الله ، وعبد غيره ، فلا شهادة له ، وإن صلى وصام ، وأتى بشيء من أعمال الإسلام ، قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ إلى أن قال : فتشبيه عباد القبور ، أنهم يصلون ، ويصومون ، ويؤمنون بالبعث ، مجرد تعمية على العوام ، وتلبيس ، لينفق شركهم ، ويقال بإسلامهم ، وإيمانهم ، ويأبى الله ذلك ، ورسوله ، والمؤمنون .

وكتب الإمام : عبد العزيز بن محمد بن سعود ، إلى بلدان

العجم ، والروم ، يخبرهم بما هم عليه ، ويدعون إليه من الدين ، فقال : أما الذي نحن عليه ، وندعو إليه من خالفنا ، فهو : أنا نعتقد أن العبادة ، حق لله على عبيده ، وليس لأحد من عبيده في ذلك شيء ، لا لملـك مقرب ، ولا نبي مرسل ؛ فلا يجوز لأحد أن يدعو غير الله ، لجلب نفع ، أو دفع ضر ، وإن كان نبياً ، أو رسولاً ، أو ملكاً ، أو ولياً ، وذكر الأدلة .

ثم قال : وأما دعوة غير الله ، والالتجاء إليه ، والاستغاثة به ، لكشف الشدائد ، أو جلب الفوائد ، فهو الشرك الأكبر ، الذي لا يغفره الله ، إلا بالتوبة منه ، وهو الذي أرسل الله رسله ، وأنزل كتبه بالنهي عنه ، وإن كان الداعي غير الله ، إنما يريد شفاعتهم عند الله ، وذلك لأن الكفار ، مشركي العرب ، وغيرهم ، إنما أرادوا ذلك ، وذكر ما حكى الله عنهم ، من أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة ، وأن الله كفرهم بذلك .

ثم قال : وهذا هو سبب عداوة الناس لنا ، وبغضهم إيانا ، لما أخلصنا العبادة لله وحده ، ونهينا عن دعوة غير الله ، ولوازمها ، من البدع المضلة ، والمنكرات المغوية ، فلأجل ذلك ، رمونا بالعظائم، وحاربونا ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ، ورجله ، فنصرنا الله عليهم ، وأورثنا أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وذلك سنة الله ، وعادته مع المرسلين ، وأتباعهم ، إلى يوم القيامة .

ثم قال : ونأمر جميع رعايانا ، باتباع كتاب الله ، وسنة

رسوله ﷺ، وإقام الصلاة في أوقاتها ، والمحافظة عليها ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ونأمر بجميع ما أمر الله به ، ورسوله ، من العدل ، وإنصاف الضعيف من القوي ، ووفاء المكاييل ، وإقامة حدود الله ، على الشريف ، والوضيع ، وننهى عن جميع ما نهى الله عنه ، ورسوله ، من البدع ، والمنكرات ، مثل : الزنا ، والسرقة .

إلى إن قال : ونحن نعلم ، أنه يأتيكم أعداء لنا ، يكذبون علينا عندكم ، ويرموننا عندكم بالعظائم، حتى يقولوا : إنهم يسبون النبي ﷺ، ويكفرون الناس بالعموم ، وأضعاف ، أضعاف ، ذلك ، من الزور ، الذي يعلم العاقل ، أنه من الظلم ، والعدوان ، والبهتان ، ولكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فإن أعداءه قالوا : إنه يشتم عيسى ، وأمه ؛ وسموه بالصابىء ، والساحر ، والمجنون .

ونحن : لا نكفر إلا من عرف التوحيد ، وسبه ، وسماه دين الخوارج ، وعرف الشرك ، وأحبه ، وأحب أهله ، ودعا إليه ، وحض الناس عليه ، بعدما قامت عليه الحجة ، وإن لم يفعل الشرك ، أو فعل الشرك ، وسماه التوسل بالصالحين ، بعدما عرف أن الله حرمه ، أو كره بعض ما أنزل الله : **﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾** أو استهزأ بالدين : **﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾**

وهذه الأنواع التي ذكرنـا، أننا نكفر من فعلها ، قد أجمع العلماء ، كلهم ، من جميع أهل المذاهب ، على كفر من فعلها ، وهذه كتب أهـل العلم ، من أهل المـذاهب الأربعة ، وغيـرهم ، موجودة ، ولله الحمد والمنة .

وكتب ابنه : الإمام سعود، إلى سليمان باشا ، والي بغداد ، فقال : وما ذكرتم : من أن كتابنا ، إلى يوسف باشا ، على غير ما أمر الله به ، ورسوله ، من خطاب المسلمين ، بمخاطبة الكفار ، والمشركين ؛ فنقول في الجواب عن ذلك ؛ بأننا متبعون ، ما أمر الله به رسوله، وعباده المؤمنين ، بقوله : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ وقوله : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة** ﴾.

وذلك : لأن الله أوجب علينا النصح ، لجميع أمة محمد ﷺ ؛ ومن النصح لهم : بيان الحق لهم ، بتذكير عالمهم ، وتعليم جاهلهم ، وجهاد مبـطلهم ؛ أولاً بالحجـة ، والبيان؛ وثـانياً بالسيف ، والسنان ؛ حتى يلتزموا دين الله القويم ، ويسلكوا صـراطه المستقيم، ويبعـدوا عن مشابهـة أصحاب الجحيم: ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا** ﴾ الآية .

ومن تلبيس إبليس ، ومكيدته ، لكل جاهل خسيس : أن يظن ، أنما ذم الله به اليهود ، والنصارى ، والمشركين ، لا يتناول من شابههم ، من هذه الأمة ؛ ويقول : إذا استدل عليه ، بالآيات

القرآنية ، والأحاديث النبوية ، هذه نزلت في المشركين ؛ وقد قال بعض السلف : وصف القوم ، وما يعني به غيركم ؛ إلى أن قال : ومن أنكر وقوع الشرك ، والكفر ، في هذه الأمة ، فقد خرق الإجماع ، وذكر الأدلة .

ثم قال : وأما قولكم : إنا على الفطرة الإسلامية ، والاعتقادات ، الصحيحة .. إلخ ، فنقول : ليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن ، أنا مسلم ، أنا من أهل السنة ، والجماعة ؛ وهو من أعداء الإسلام ، وأهله ، منابذاً لهم بقوله ، وفعله ، لم يصر بذلك مؤمناً ، ولا مسلماً ، ولا من أهل السنة والجماعة ؛ ويكون كفره ، مثل اليهود .

وذكر ، أن أصل الإسلام : توحيد الله وحده ؛ واستدل على ذلك ، بكلام الله ، وكلام رسوله ﷺ وأقوال أهل العلم ؛ ثم قال : وأما قولكم ، فنحن مسلمون حقاً ، وأجمع على ذلك أئمتنا ، أئمة المذاهب الأربعة ، ومجتهدوا الدين ، والملة المحمدية .

فنقول : قد بينا من كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، وكلام أتباع الأئمة الأربعة ، ما يدحض حجتكم الواهية ، ويبطل دعواكم الباطلة ، وليس كل من ادعى دعوى ، صدقها بفعله ، فما استغنى فقير بقوله : ألف دينار ؛ وما احترق لسان بقوله : نار ، فإن اليهود أعداء رسول الله ﷺ ، قالوا لرسول الله ﷺ نحن المسلمون ، إلا

إن كنت تريد أن نعبدك ، كما عبدت النصارى المسيح ؛ وقالت النصارى ، مثل ذلك ، وكذلك قال فرعون لقومه : ﴿ **ما أريكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلاَّ سبيل الرشاد** ﴾ وقد كذب ، وافترى في قوله ذلك .

وحالكم ، وحال أئمتكم ، وسلاطينكم : تشهد بكذبكم ، وافترائكم في ذلك ؛ وقد رأينا ، لما فتحنا الحجرة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام [١٢١٣ هـ][1]، رسالة لسلطانكم ، سليم ، أرسلها ابن عمه إلى رسول الله ﷺ، يستغيث به ، ويدعوه ، ويسأله النصر على الأعداء ، من النصارى ، وغيرهم ، وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع ما يشهد بكذبكم .

وأولها : من عبدك ، السلطان سليم ، وبعد : يا رسول الله ، قد نالنا الضر ، ونزل بنا من المكروه ، ما لا نقدر على دفعه ، واستولى عباد الصلبان ، على عباد الرحمن ، نسألك النصر عليهم ، والعون عليهم ، وأن تكسرهم عنا ، وذكر كلاماً كثيراً ، هذا معناه ، وحاصله .

فانظر إلى هذا الشرك العظيم ،والكفر بالله ، الواحد العليم ، فما سأله المشركون من آلهتهم ، اللات ، والعزى ، ومناة ، فإنهم إذا نزلت بهم الشدائد ، أخلصوا لخالق البريات ؛ فإذا كان هذا حال خاصتكم ، فما الظن بفعل عامتكم ؛ وقد رأينا من جنس

(١) لعله الصواب وفي الطبعة الأولى ١١٣٣ .

كلام سلطانكم ، كتباً كثيرة ، في الحجرة ، للعامة ، والخاصة ، فيها سؤال الحاجات ، وتفريج الكربات ، ما لا نقدر على ضبطه ، انتهى .

ورأيت رسائل ، في مقام إبراهيم ، الخليل ، عليه السلام ، نحو ذلك ، من سائر الأقطار ، فيها سؤال الخليل ، سائر الحاجات ، والعفو عن الزلات ، وسؤال الحج ، والاعتذار من عدم الاستطاعة إليه ، وغير ذلك مما لا يجوز أن يطلب إلا من الله ، ولا يقدر عليه سواه ؛ وأخبرني ، من لا أتهم : أنه رأى ، في الحجرة النبوية ، نحواً من ذلك ، شيئاً كثيراً .

وكتب الشيخ: عبد اللطيف، بن الشيخ: عبد الرحمن، بن حسن ، رسالة، إلى الشيخ: محمد آل عبد الكريم ، البغدادي ، قال فيها : والكتاب وصل ، وحمدت الله ، على ما من الله به عليك ، وأهداه إليك من المنة العظمى ، والموهبة الكبرى ، التي هي أسنى المواهب ، وأشرف المطالب ، معرفة دين الإسلام ، والعمل به ، والبراءة مما وقع به الأكثرون ، من الشرك الصراح ، والكفر البواح ، من دعاء الموتى ، والغائبين ، والاستغاثة بهم ، في كشف شدائد المكروبين ، ونيل مطالب الطالبين ، وتحصيل رغبات الراغبين ، عدلاً منهم ، بالله رب العالمين .

وصرف خالص محبة العبودية ، وما يجب من الخضوع ، لرب البرية ، إلى الأنداد ، والشركاء ، والوسائل ، والشفعاء ،

بل : وسائر العبادات الدينية ، صرفت إلى المشاهد الوثنية ، والمعابد الشركية ، وصرحت بذلـك ألسنتهم ، وانطوت عليـه ضمائرهم ، وعملت بمقتضاه جوارحهم ، ولم ينج من شرك هذا الشرك إلا الخواص ، والأفراد ، والغرباء ، في سائر البلاد ، وذلك : مصداق ما أخبر به ، الصادق المصدوق ، بقوله : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ » .

قال بعض الأفاضل : من أزمان متطاولة، الإسلام في وقتنا ، أشد منه غربة ، في أول ظهوره ؛ قلت : وذلك في أول وفت ظهوره ، يعرفه الكافرون ، والمنكرون له ، كما قال تعالى ، حاكياً عنهم ، أنهم قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

وأكثر المنتسبين إلى الإسلام ، في هذه الأزمان : يعتقدون ، أنه هو الاعتقاد في الصالحين ، ودعوتهم ، والاستغاثة بهم ، والتقرب إليهم ، بأنواع العبادات ، كالذبح والنذر ، والحلف ، وغير ذلك ، من أنـواع الطاعـات ؛ وذلك : لأنـه ولد عليـه صغيرهم ، وشاب عليه كبيرهم ، واعتادته طباعهم ؛ فتراهم عند تجريد التوحيد ، يقـولون : هـذا مذهب خـامس ، لأنهم لا يعرفون ، غير ما نشأوا عليه ، واعتادوه ، ولا سيما إذا ساعد العادة ، الاغترار ، بمن ينتسب إلى العلم ، والدين ، وهو عند الله ، في زمرة الجاهلين ، والمشركين ؛ فهذا ، وأمثاله : هم

الحجاب الأكبر ، بين أكثر العوام ، وبين نصوص الكتاب ، والسنة ، وما فيهما من الدين ، والهدى .

ثم أكثرهم ؛ قد تجاوز القنطرة ، وغرق في بحار الشرك ، في الربوبية ، مع ما هو فيه ، من الشرك ، في الألوهية ؛ فادعى للأولياء ، والصالحين ، شركة في التدبير ، والتأثير ، وشركة ، في تدبير ، ما جاءت به المقادير ، وأوحى إليهم ، إبليس اللعين : أن هذا ، من أحسن الاعتقاد في الصالحين ، وأن هذا ، من كرامة أولياء الله ، المقربين ، تعالى الله ، عما يقول الظالمون ، وتقدس عما افتراه ، أعداؤه المشركون ، وسبحان الله رب العرش عما يصفون .

وذكر الشيخ : سليمان بن سحمان ، رحمه الله تعالى ، منظومة ، تتضمن ، ما نحن عليه من الاعتقاد ، منها قوله :

وبعد : فإن الله جل جلالـه ... أبان لنا الإسلام حقاً لنهتدي
ونشكره لمَّا هدانا إلى الهدى ... وقد صد عنه كل غاو ومعتد
فهبوا عباد الله من نومة الردى ... إلى الفقه في أصل الهدى والتجرد
ولا تشركوا بالله شيئاً وجنبوا ... طرائق أهل الغـي من كل ملحد
كمن كان يغدو للمقابر زائراً ... ويدعوهم في كل خطب ويجتدي
ويرجو غوثاً في الشدائد عندما ... يلم بهم من حـادث متجدد
ويرجون منهم قربة وشفـاعة ... إلى الله ذي العرش العظيم الممجد
ويطلب منهم كشف كل ملمة ... وفي كل كرب فعل أهل التمرد

ويطلب من أهل المقابر كلما يؤمله من كل خطب ومقصد
وينسون رباً واحداً جل ذكره إلهاً عظيماً قادراً ذا تفرد
فيا أيها الراجي سلامة دينه ....

إلى قوله :

فحقق لتوحيد العبادة مخلصاً بأنواعها لله قصداً وجرد
وأفرده بالتعظيم والخوف والرجا وبالحب والرغبى إليه ووحد
وبالنذر والذبح الذي أنت ناسك ولا تستغث إلا بربك تهتدي
ولا تستعن إلا به وبحوله له خاشياً بل خاشعاً في التعبد
ولا تستغث إلا به لا بغيره وكن لائذاً بالله في كل مقصد
إليه منيباً تائباً متوكلاً عليه وثق بالله ذي العرش ترشد
ولا تدع إلا الله لا شيء غيره فداع لغير الله غاو ، ومعتد
وكن خاضعاً لله ربك لا لمن تعظمه واركع لربك واسجد

وذكر : توحيد الربوبية ، والأسماء ، والصفات ، وشروط كلمة الإخلاص ، وأركان الإسلام ، والإيمان ؛ ثم قال :

وقد بعث الله النبي محمداً بإخلاص هذا الدين للمتفرد
وتكفير عباد القبور ، ومن على طريقتهم من كل غاو ، ومعتد
فكن سالكاً في منهج الحق والهدى لتنجو من حر الجحيم المؤبد
وهذا اعتقاد للأئمة قبلنا ذوي العلم والتحقيق من كل مهتد
كمثل الإمام الشافعي وأحمد ومالك والنعمان من كل سيد
وأصحابهم من كل حبر وجهبذ وأتباعهم أهل التقى والتجرد

ونحن على منهاجهم واعتقادهم   نسير ولا نألوا جهداً ونقتدي
بحول إله العرش جل جلاله   وتوفيقه والله بالخير يبتدي
ونبرأ من كل ابتداع مخالف   لأهل الهدى من كل قول ملدد
ومن دين عباد القبور جميعهم   ومن كل جهمي كفور وملحد
ونبرأ من دين الخوارج إذ غلوا   بتكفيرهم بالذنب كل موحد
ومن كل دين خالف الحق والهدى   وليس على نهج النبي محمد
فيا أيها الناس اسمعوا وتفطنوا   جميعاً لما قد قلته في المنضد
فإن كان حقاً واضحاً وعلى الهدى   كما هو معلوم لدى كل مهتد
عليه من الحق المبين دلائل   تلوح وتبدو جهرة للموحد
ففيؤا إلى دين الهدى وذروا الهوى   ولا تتبعوا آراء كل ملدد
يرى الدين في أقوال من ضل واعتدى   وزاغ عن السمحاء من قول أحمد
ويا عجباً كيف اطمأنت نفوسكم   بتغيير دين المصطفى خير مرشد
فتأتون بالشرك المحرم جهرة   ينادى به في كل ناد ومشهد
وما منكمو من منكر ومفند   لذلك جهراً باللسان وباليد
إذا كنتم من أهل دين محمد   فكيف استجرتم فعل أهل التمرد
وكيف استلذيتم من العيش مطعماً   وما منكمو من منكر ومفند
وكيف لكم طاب المنام وتهدأوا   وأنتم ترون الكفر بالله يزدد
فإن لم يكن حقاً لديكم وواضحاً   وليس على الدين القويم المحمدي
فهاتوا دليلاً من كتاب وسنة   ومن قول أصحاب النبي محمد
وأتباعه والتابعين على الهدى   وكل إمام حافظ ومسدد
وحاشا وكلا إلى ذلك مسلك   يجيء به من زاغ عن دين أحمد

وما هو إلا في المهامه تائه　　بريء من الإسلام غاو ، ومعتد

فهذا كلام أهل هذه الدعوة ، وعقيدتهم ، الذين زعم هذا المعترض ، أن الله ابتلى المسلمين بهم ، فوازن بين كلامهم ، وكلامه ، أيهم أهدى سبيلاً ؟ ومن هو الداعي منهم إلى دار السلام ؟ ومن الداعي إلى سواء الجحيم؟!.

وإن كان هذا النقل طويلاً ، بحسب هذه العجالة ، فالتطويل يحسن في محله ، لحاجة السامع ، وضرورة الطالب ، وأخص ذلك ، فيما يهتم به ، من الأمور التي تشتد حاجة العبد إليه ، كما يستفاد من أسلوب الكتاب العزيز ، وتكريره الأمر بعبادة الله وحده ، والنهي عن الشرك ، وتكفير فاعله ، والحكم عليه بالخلود في النار ، ومع ذلك : فهو أسطر من مجلدات ، كلها في تقرير التوحيد ، والدعوة إليه ، وبيان الشرك ، والنهي عنه ، وتكفير فاعله ، فجزاهم الله خير ما جزى به من دعا إلى توحيده ، وإفراده بالعبادة .

قال الجزائري :

قال تعالى ، في كتابه العزيز : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ وقال : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله** ﴾ وفي الختام : نسأل الله سبحانه وتعالى ، أن يهدينا إلى طريق الرشاد .

والجواب : إنا قد أبرزنا للعاقل المنصف ، كلامنا ، وكلامه ، فلينظر : من هو الأحق بالعمى ، والهوى ، والضلال ؟ ومن هو الأليق به ؟ والأولى به ؟ فإن كان من قال : لا يعبد إلا الله ، ولا يدعى دعاء السر ، إلا هو ، ولا يستغاث إلا به ، ولا يلتجأ إلا إليه ، ولا تطلب الشفاعة إلا منه ، امتثالاً لقوله : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾، ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ وغيرها من الآيات ، وحديث « أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلا الله » .

ومن قال : من عبد مع الله غيره ، من نبي ، أو ولي ، أو ملك ، أو جني ، أو شجر ، أو حجر ، أو غير ذلك ، فقد أشرك بالله ، لقوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾، ﴿ **من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ وكفر به لقوله : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ وحكم عليه بالعذاب ، لقوله : ﴿ **فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين** ﴾: هو الأحق والأولى ، بقوله تعالى : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار** ﴾ وقوله : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾.

أو الأحق ، والأليق ، والأولى بذلك ، من رد الآيات والأحاديث ، الواردة في كفر من جعل مع الله إلهاً آخر ، ودعا إلى

عبادة الأنبياء ، والصالحين ، وغيرها ، وكفر من نهى عن ذلك ، وخرجه ، وخالف إجماع المسلمين ، والعقل ، والفطرة ، كما لا يمتري فيه من له أدنى إلمام بالعلم ، والعقل ، والدين .

فتعساً له ، ما أعماه ! وأصماه ! وما أحقه بالقول على الله بغير علم ! وعلى كتابه ، وعلى رسوله ﷺ وما أكذبه ، في دعواه النصرة للحق ! وقد نصب نفسه للدعوة إلى الشرك بالله ، وكذب بآيات الله ، وصدف عنها ، وعصا رسول الله ﷺ، وتنقصه أعظم تنقص ، وأبشعه بأن دعا إلى جعله إلهاً مع الله ! يصرف له خالص العبادة ، وعادى من دعا إلى توحيد الله ، وسبه ، وكفره .

ومن وصل به الجهل ، إلى هذه الغاية ، وهذا الحد ، فقد استحكم عليه الضلال ، وفقد إدراكه ، وإحساسه ، وانسلخ من العقل ، والدين ، وشاق الله في شرعه ، وشاق الرسول ﷺ، فيما جاء به ، من دينه ؛ ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ .

اللهم انصر دينك ، وكتابك ، ورسولك ، وعبادك الصالحين ، اللهم أظهر الهدى ، ودين الحق ، الذي بعثت به نبيك ، على الدين كله ولو كره المشركون ، اللهم عذب الكفار ، والمنافقين ، الذين يصدون عن سبيلك ، ويبدلون دينك ، ويعادون عبادك المؤمنين ؛ اللهم خالف بين كلمتهم ، وشتت بين

قلوبهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وأدر عليهم دائرة السوء ؛ اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

اللهم اغفر للمؤمنين ، والمؤمنات ، والمسلمين ، والمسلمات ، وألف بين قلوبهم ، وأصلح ذات بينهم ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللهم أعنا ، ولا تعن علينا ، واهدنا ويسر الهدى لنا ، وانصرنا على من بغى علينا ؛ اللهم اجعلنا شاكرين ، ذاكرين ، أواهين ؛ منيبين لك ، مخلصين ، سلماً لأوليائك ، حرباً لأعدائك ، نحب بحبك ، من أحبك ونعادي بعداوتك ، من خالفك ، اللهم هذا الدعاء ، وعليك الإجابة ، وهذا الجهد ، وعليك التكلان .

ونسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يجعل ما كتبناه ، في هذا ، وغيره ، نصرة لهذا الدين ، الذي أكرم الله به عباده المؤمنين ، وأن لا يجعله انتصاراً لأنفسنا ، ولا لسلفنا ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

سنة ١٣٥٨هـ.

فهرس الموضوعات